شباب تاني

د. خالد أبو شادي

طيبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين — **شعبة بلدية العلمة**

تنظم لجنة الشباب والطلبة

المسابقة الثقافية الثالثة لطلبة المرحلة الثانوية ـ العلمة

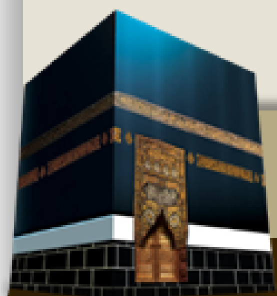
من أول رمضان إلى العاشر من شوال 1446 هـ

أجب على ثلاثين سؤالا من خلال قراءة كتاب :

(شبابُ جنان) لمؤلفه : خالد أبو شادي



- كيف تتعامل مع ذنبك؟
- مشكلة الفراغ وضياع الوقت .
- العلاقة مع الجنس الآخر .
- تحدي الشهوة .
- خطر رفقة السوء .



الجوائز

- عمرة إلى بيت الله الحرام للفائز الأول .
- 20000 دج لكل فائز من العشرين الأوائل .

0697444166

@dj.3.eulma

مقدمة

الحمد لله الذي خلق في الشباب القوة، وغرس فيهم الهمة والفتوة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نصره الله بالشباب فكانوا خير الصحاب.

أما بعد ..

فيسعدني أن أقدِّم لشبابنا وفتياتنا هذه الرسائل الموجزة المركزة، وذلك أني رأيت إثر كثرة احتكاكي بهم أن ثالوثًا مدمِّرًا يتربص بهم ويقعد لهم كل مرصد: العلاقة مع الجنس الآخر فكتبت لهم رسالة **"سلامة قلبك"**، ووقت الفراغ فكانت رسالة **"غرامة تأخير"**، وصحبة السوء وعالجتها من خلال رسالة **"أحلى صحبة"**، ودرء هذه المفاسد الثلاثة مقدِّمة لازمة لصلاح قلوبهم وهداية أرواحهم ومن ثم الفوز بجنة ربهم، وإلا فلا أمل، كلما بنى القرآن هدم الشيطان، وكلما زرع الدعاة قلع البغاة!!

ولم أنس أن أكتب رسالة رابعة عن أدب السقوط وفقه التعامل مع الذنب كي لا يتحوَّل الذنب إلى سوط يستخدمه الشيطان في جلد الشباب بإلقائهم في بئر اليأس من رحمة الله مع غلق أبواب الأمل في وجوههم، ومن هنا جاءت رسالة **"نقطة رجوع"**.

وأنا أوجِّه هذا الكتاب إلى فريقين:

- **فريق معافى:** ليمثِّل هذا الكتاب جرعة واقية قبل غزو المرض، حتى إذا مروا على محاولات إبليس الخبيثة وكمائنه الخفية صاحوا ساخرين منه: قد حذرونا منك وأرشدونا إلى مكائدك، فاخسأ يا لعين .. لن تنطلي علينا حيلك بعد اليوم.
- **فريق مبتلى:** أما من ابتلي بالداء وعمه الوباء فهذا الكتاب له بذرة خير تنبت شجرة طيبة، وحين تؤتي كل الأشجار ثمرها مرة واحدة في العام فإن شجرة الكلمة الطيبة تؤتي أكلها كل حين وعلى مدار الحياة كلها بإذن ربها.

وأوصي أن يُهدى هذا الكتاب لشباب المرحلة الثانوية والجامعات، وأوصي كذلك أن يكون في مكتبة كل مربي يتعامل مع الشباب ويسعى في دعوتهم، فمعرفة الداء أولى مراحل العلاج، وهذه الصفحات بخطابها العقلي ومزجه بالإيماني أقرب إلى

العقول والقلوب، لاسيما إذا مُزجت بعاطفة الأخوة الصادقة والمودة الخالصة.

وأنا واثق عندها أن فجر الهداية سيشرق على قلوب كثيرة أغرقها الظلام، وأن الفطرة الحية ستنتفض من بين ركام المادة والشهوات، وأن الإيمان سيولد في قلوب ماتت أو كادت، وكلي ثقة أنكم ستشاركونني هذا الشرف العظيم والثواب الجزيل، فهيا بنا يا شباب نبحر في صفحات هذا الكتاب.

د. خالد أبو شادي

الأسئلة هنا



ميزان الفجر

حين رأى نفسه ميتا!!

يقول الوالد الحبيب رحمه الله في مذكراته تحت عنوان (جئت من الدار الآخرة):

عاهدت الله أن لا أتخلف عن صلاة الجماعة في المسجد مهما كانت الظروف إلا لعذر قاهر لا سيما صلاة الفجر... وبقيت على هذه الحال بضع سنين، وأعانني على ذلك أن كان بجوارنا رجل صالح هو الحاج سليمان محمد كان قد ابتنى مسجدا في الدور الأرضي من عمارته، ودعاني للإمامة فيه.. وكان يمر كل ليلة في الهزيع الأخير من الليل، وقبل الفجر بساعة أو بعض الساعة يترنم بصوته الندي، يوقظ الوسنان ويطرد الشيطان وهو يقول: لا إله إلا الله.. الملك الحق المبين.. محمد رسول الله.. الصادق الوعد الأمين.. الصلاة يا مؤمنون الصلاة.. الصلاة خير من النوم.

ويمر آخر يقول:

يا نائمًا مستغرقًا في المنام
قم واذكر الحي الذي لا ينام
مـولاك يدعـوك إلى ذكره
وأنت مشغول بطيب المنام

الصلاة يا مؤمنون الصلاة.. الصلاة خير من النوم..

فأهب من نومي ثم أتوضأ، وأقرأ ما تيسر لي من القرآن، أو أصلي ما شاء الله لي أن أصلي حسبما يسمح الوقت، ثم أتوجه إلى المسجد حيث نؤدي الصلاة ونجلس في

مصلانا نذكر الله حتى تطلع الشمس وترتفع مقدار رمح أو رمحين ثم نصلي سبحة الضحى، وينصرف كل منا إلى حال سبيله.

واستجدت ظروف شغلتني عن صلاة الفجر بسبب السهر، فكان الرجل يمر ليوقظني فأستجيب مرة وأغفو مرات حتى يئس من أمري..

وراح ولم يعد، وإذا صادف واستيقظت من تلقاء نفسي، فإني أذهب إلى مسجد آخر، تفاديا للوم الأصحاب وتقريعهم، ولكني في الحقيقة لم أكن راضيا عن نفسي، وكان الإثم لا يفتأ يحيك في صدري، فالعهد بيني وبين الله، ومن الحرام نكث العهد وأنا أتلو قول الله تعالى في أكثر من موضع من القرآن، بل أحفظه عن ظهر قلب:

﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾

وبينما أنا في هذه المشغلة النفسية لا يهدأ لي بال، ووخز الضمير يؤلمني، رأيت في ما يراه النائم أنه قد حضرني أجلي، وقام الغاسل بتجهيزي، وسط بكاء الأهل ونحيبهم، فلما فرغ حملت على النعش وخرج أهل القرية عن بكرة أبيهم يشيعونني، حتى انتهوا بي إلى المقابر، فأودعوني وأهالوا علي التراب، وبعد أن نفضوا أيديهم من تراب القبر، اصطف الأهل يتقبلون عزاء المشيعين، وأنا على ذلك كله كما لو كنت في اليقظة، لا يند عني قول أو حركة، الأحداث واضحة كفلق الصبح لا مرية فيها ولا غموض، وتذكرت وأنا ملقى في القبر حديث رسول الله ﷺ: وأنه ليسمع خفق نعالهم وهم ينصرفون، وخفتت الأصوات رويدا رويدا،

ورأيتني في القبر وحيدا فريدًا لا أنيس ولا جليس، وأطبق الصمت على المكان.

وكنت وأنا صغير مغرما بتشييع من يموت عندنا فأسمع الملقن يقول: فإن أتياك وأجلساك وسألاك وقالا لك من ربك ومن نبيك وما دينك ودارت هذه الكلمات في ذهني.. وترقبت مثول الملكين، وما هو إلا أن بدا من ناحية في القبر رجل فارع الطول يلبس بزة عسكرية وبيده عصا قصيرة، متأبطا سجلا (دوسيه)..

فلما انتهى إلي وكنت راقدا، فزعت جالسا، فسألني سؤالا واحد: انت مواظب على صلاة الفجر ولالأ؟

وحرت في الجواب لا سيما والعصا في يده، والملف تحت إبطه، لو أجبت بنعم فالملف يكذبني والعصا تؤدبني!! ولو قلت لا فهو يخالف الحقيقة لأني لم أنقطع تماما عن صلاة الفجر.. ولكن الله ألهمني الجواب المناسب: الحقيقة مش على طول، فقال بلهجة صارمة كلها تهديد: طيب!! وتوقعت أن يحل بي العذاب لامحالة، ولكنني لم ألبث أن انتبهت من نومي وأنا غاية الفزع، فالتفت حولي فلما أيقنت أن ما كان إنما هو حلم ذهب عني الروع، وتنفست الصعداء، وانطلق لساني يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..

ونهضت مسرعا فتوضأت، وكان الفجر قد اقترب، فتوجهت إلى المسجد بعد غيبة دامت شهورًا، ثم أقيمت الصلاة وصليت بالناس إماماكسابق عهدي..

وما إن فرغت من الصلاة حتى أقبلوا علي يلومونني على هذه الغيبة الطويلة، فما كان جوابي عليهم إلا أن قلت: أتدرون من أين أتيتكم اليوم؟! إنني قادم من الدار الآخرة، وأخبرتهم بالخبر.

▪ دروس خمسة:

وأنا هنا أشير إلى خمسة معان غالية استقيتها من هذه الرؤيا الصالحة والتنبيه اللطيف:

١. بشرى كل مؤمن:

سئل أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قول الله تعالى:

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

فقال: ما سألني أحد قبلك منذ سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لي: «**هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له**».

وفي الحديث: «**الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة**»، وفي حديث آخر: «**جزء من ستة وأربعين**»، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر: «**جزء من سبعين**»، وهذا الاختلاف راجع إلى حال صاحب الرؤيا فكلما كان صالحا كانت النسبة أعلى.

من لطف الله.. أنه إذا بـدا من عبـده تقصير أو بدايات نزول نبهه بتعسير أمر أو شجار مع زوج أو تشـويش ذهن أو ضياع رزق وشيـك، أو لعل ذلك يكون عن طريق رؤيـا صالحة تعيد العبد إلى رشده وتقيمه على الجادة كما حدث مع الوالد الحبيب رحمه الله، ليراجع كل منـا نفسه ويقرأ الرسائل الربانية قبل أن يرد عليها عن طريق قلبه بتـوبة،

وعقله بصحوة، وجوارحه بإتباع السيئة بالحسنة.

٢. الفجر امتحان:

بل أول امتحان يخوضه كل منا صبيحة كل يوم، لينجح فيه من وثب من فراشه صافا قدميه بين المصلين، ويرجع بالخيبة والخسران من اختطفه الفراش الدافئ والنعاس اللذيذ، وما أقبح يوم بدأ بعصيان الله ومخالفة أمره.

الفجر أحبتاه.. شارة من شارات الشرف.. يقلدها الله زمرة من عباده اصطفاهم من بين خلقه، ومن شرف الفجر أن يسبقه نداء رب العالمين في ثلث الليل الآخر: هل من مستغفر.. هل من سائل.. هل من داع.. والمسيء غير مستحق لذلك الشرف لذا لا يشهده..

لأن السلعة الغالية لا ينالها الراقدون، والجوهرة النادرة لا يظفر بها إلا المجدون، فلا يقوم فجرا إلا من ألبسه الله ثوب رضاه، واطلع على قلبه فعلم صدقه وتقواه، وما أقبح مقابلة الود بالجفاء، والرد على اللطف بالإعراض والسبات.

٣. والفجر ميزان:

يوزن به الإيمان، ومؤشر أولي لرجحان كفة الحسنات أو كفة السيئات، ويستطيع به العبد أن يعرف به قربه أو بعده من مولاه، فمن رجحت كفة إيمانه انتبه من فوره لصوت الأذان، وإن خفت الكفة كانت الأخرى، وما انتباهة الفجر في حقيقتها إلا حصيلة يوم كامل من سعي العبد مختزلة في لحظة واحدة، وكأنك

تطلع على حصاد يومك وليلتك في انتباهتك فجرا أو غفلتك، وتعلم أخي دقة الوزن وطريقة المحاسبة من عمر!!

أصابت عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمرة في رأسه أثناء رمي الجمار في موسم الحج، فماذا قال؟! قال: جمرة بذنب وما يدفع الله أكثر!!

ليسفر رضي الله عنه عن همة عالية في مراقبة النفس وانتباهة فريدة في محاسبتها.. استحق معها أن تفر الشياطين بين يديه وتتوارى إذا رأت ظله من بعيد، ومرسيا قاعدة التعامل ولغة الحوار الوحيدة التي يفهمها الأبالسة ومن أهلها يفرون.

١. غفوة بين صحوتين:

الفتور طبيعة بشرية لا تلبث أن تظهر بمرور الأيام وتعاقب الأحوال، فصاحب العمل الشاق مثلا غير صاحب العمل غير الشاق، والمكبل بوظيفة تستهلك سائر يومه غير صاحب العمل الحر، والفارغ غير المشغول، وهذا كله ينحت في صخرة الإيمان ولو كانت في صلابة الصخر، مما يجعل الفتور لا مناص منه..

لكن المهم.. هل تنتبه إذا نزلت بك نزلة فتور؟! هل تقيس نفسك باستمرار: أفي صعود أنت أم في هبوط؟! وإلى كم يستمر فتورك؟ وإلى أي درك أسفل يهوي بك؟! وإذا كانت بشريتك تجعل من الفتور حتما مقضيا وضربة لازب فإن الانتباه الفوري وسرعة الانتفاضة هي ما أكثر يسعد الرب ويغيظ زمرة الشياطين المتآمرة عليك، لتبني وتهدم في

آن واحد، تبني ما انهدم من إيمانك، وتهدم ما دبروه من كيد لك وإفسادك.

٣. خلاصة تجارب وبذور أرباح:

خذ بأسباب القيام من نوم على طهارة وأذكار النوم وتبكير ما استطعت، فإن قمت فقد تم لك ما أردت، وإلا فقد نلت شرف المحاولة، وفارق كبير بين من حاول الوصول فما بلغ وآخر فر من المعركة دون أدنى مقاومة.

والذي يهمل أسباب الاستيقاظ فيقوم بضبط المنبه على ساعة متأخرة أو يبالغ في السهر لغير ضرورة أو ينام على معصية.. أخشى أن يقع تحت مظلة هذا الحديث وتنزل به عقوبته: «**ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا، فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة**».

- لا تدع الفجر في المسجد ولو فاتتك التكبيرة الأولى والجماعة الأولى، فإذا كان الشيطان قد نجح في إصابتك فلا تدعه يستذلك ويستعبدك، فالبطل الشجاع يجتهد في تقليل خسائره ما استطاع لا يستسلم.
- يأسك قاتلك: إن سقطت مرة أو مرات فعود نفسك سرعة إصلاح ما انكسر، ومواجهة الضربة الشديدة من شيطانك بضربة أشد، واعلم أن الصراع مع عدوك اللدود لن ينتهي إلا مع آخر أنفاس حياتك، والحرب سجال، واليأس شيمة الضعفاء ومسلك الجبناء.
- الفجر روح ومن طبيعة الروح أنها تسري، فلا تغلق الباب في وجه يقظتك، ولا تحبسها عند حدود نفسك، بل أطلقها

في أهل بيتك: زوجك وولدك ملبيا أمر ربك:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾

- عصابة الفجر: إذا استطعت أن تكون رابطة من إخوانك أو جيرانك توقظهم للفجر ويوقظوك، و تعينهم ويعينوك فافعل، لتكون بذلك قد استفدت وأفدت، استفدت من وجود المعين الذي ينبهك إن سهوت، وأفدت بإيقاظ غيرك لتنال مثل أجره كاملا.

كان والدي في بعد انقضاء رمضان ينتقي عشرة من نبهاء المصلين الذين حافظوا معه على صلاة التراويح، ويتفق معهم أن يوقظهم كل يوم لصلاة الفجر بعد رمضان وذلك عبر الهاتف، ثم يكلف كل واحد منهم بإيقاظ عشرة آخرين ممن شهدوا معهم القيام، ليحصد أجر ما يزيد على مائة مصل للفجر ضربة واحدة!!

عمل ما أيسره.. أجر ما أوفره!!

ولا شك أن الأثر لا يوصف، فالانتقال من طور التغير إلى طور التغيير ومن دائرة الصلاح إلى دائرة الإصلاح من أعظم ما يرسخ في القلب الطاعة ويعين على الثبات عليها.

ورجعة إلى الوالد الحبيب..

أشهد أنه مات على أفضل ما يكون وأنشط ما يكون وأحرص ما يكون على صلاته، تأخر يومًا في أيام مرضه عن صلاة من الصلوات بسبب شدة آلامه، وأصابته سنة من النوم ليرى رؤيا صالحة أن ملكا من السماء عاجله بماء من

الجنة ليتوضأ به ويصلي، بهذا أخبرتني الوالدة الكريمة حفظها الله.

ولي أبيات نظمتها منذ مدة رأيتها مناسبة لختم هذا المقال خاصة الأخطار محدقة بالأمة والهدم يتهدد مسرى رسول الله والتبعة على المسلمين ثقيلة وعلى الصالحين منهم أثقل وعلى الدعاة المصلحين أثقل وأثقل:

أضـاع الفجـر منـا يا أخـانا
لترثينـا المـلائك في سمـانا
ونـعصـي الله أول كـل يـوم
لنحـرم من ثـواب قـد غشانا
ولا نحظـى برؤيـة وجـه رب
وقد ضلَّت عن الحسنى خطانا
فهل من صحوة تحيـي قلـوبا
وترضي في العـلا ربا هـدانا
وتـهـدي أمـة ضلت زمـانا
فـذاقت من أعـاديها الهـوانا
فـإن لم نستطـع تأديب نفس
فهل نقـوى نـؤدِّب من سوانا

اللهم نبِّهنا إذا غفلنا،

وأحي قلوبنا إن ماتت،

وخذ بأيدينا كلما تعثرنا في الطريق
أو تهنا في المتاهة،

وارزقنا قلوبنا دوام الهداية،

وارزقنا زكاة الهداية بهداية الناس،

واجعلنا من عبادك الخلص الأنقياء،

وألحقنا بالنبيين والشهداء

غير مبدلين ولا مغيرين.

اللهم آمين.

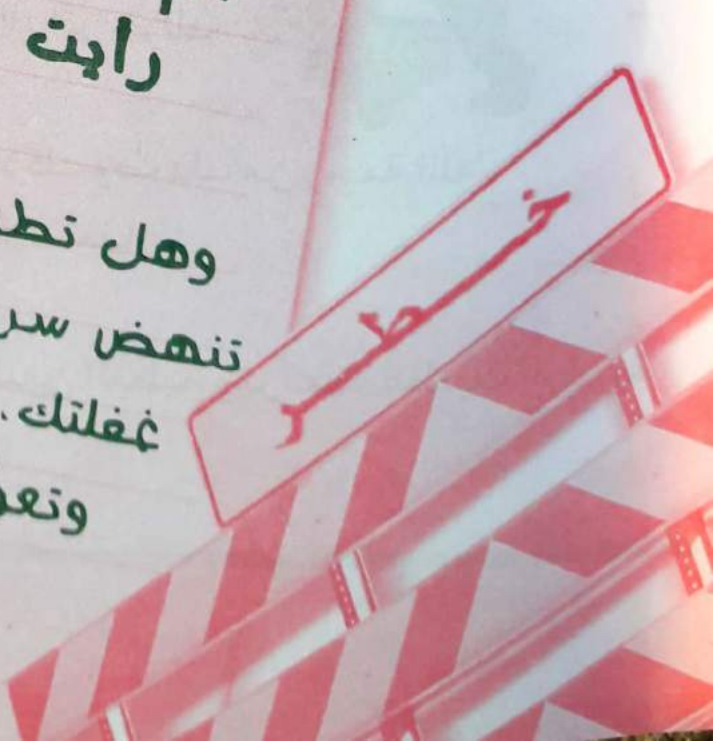


نقطة رجوع

قام الشيطان باستدراجك إلى الطريق الخطأ، وأوقعك في حفرة الذنب، فهل تستمر في نفس الطريق

أم تستدير راجعا بعد أن رأيت علامة "خطر"؟!

وهل تطول رحلتك الخاسرة؟! أم تنهض سريعا من كبوتك، وتفيق من غفلتك، لتسلك الطريق الصحيح، وتعوِّض الخسارة، وتثأر من شيطانك.



كيف تتعامل مع ذنبك؟!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد،،

فإن الله خلق الخلق وقال عنهم:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤)

فخلقهم على حال ووصف وهيئة يعلمها سبحانه وتعالى، وغرس فيهم ما شاء من الأوصاف والأخلاق، ومن ذلك أنه جبلهم على الضعف والنقص والخطأ ، وهو مع هذا ﴿ اللَّطِيفُ ﴾ بهم، ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بهم وبما يعملون، ومن هذا فقد كتب عليهم الخطأ والذنب والمعصية .

والمعاصي أمر حتم لابد منه وليس إنسان يُعصم منها -**أيّاً كان جنسه ووصفه وهيئته ومكانته**- إلا الأنبياء، بل لقد ثبت في حديث الشفاعة أن الناس لما يأتون آدم يستشفعون به يردهم بقوله: «**ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي**» فلما كان هذا الأمر حتمياً، كان لابد من معرفة الأدب فيه كما أخبر به الله تعالى ورسوله ﷺ.



لماذا كتبت هذه الرسالة؟!

- حرباً على اليأس والقنوط من رحمة الله.
- وليتحول الذنب من "عليك" إلى "لك".
- وتبطل مفعول الكيد الشيطاني الدائر حولك صباح مساء.
- وحتى لا تكون ذنوبك سبب إهلاكك وطردك من رحمة الله.
- ولتفزع فور الذنب إلى التوبة والاستغفار.
- وتنجو بذلك من خطر الإصرار.
- وأخيراً .. إبرازاً لواقعية هذا الدين العظيم ومراعاته للطبيعة البشرية في كل أحكامه وتكليفاته.

أولاً

اليأس إلى غرفة الإعدام!!

أ) آية البشريات السبعة:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

(الزمر: ٥٣)

هذه أرجى آية في كتاب الله لاشتمالها على قصرها على سبع بشارات جملة واحدة، فإنه سبحانه:



١. أضاف العباد إلى نفسه واختصهم بأحب المقامات إليه -**مقام العبودية**- مدحاً لهم بقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم، وطمأنتهم بأنهم لا زالوا مشمولين بانتسابهم إليه ورعايته لهم.

٢. وذلك رغم ما كان منهم من إسراف في المعاصي واستكثار من الذنوب لا تضره سبحانه بل تضرهم وهي بمثابة جناية منهم على ﴿أَنفُسِهِمْ﴾.

٣. ثم جاء النهي المطلق عن القنوط من رحمة الله لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، والنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين أولى.

٤. ثم جاءت الحقيقة الحاسمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾، بما لا يدع مجالاً للشك، وجاءت الألف واللام لتعلن أن الله يغفر كل ذنب كائناً ما كان.

٥. ثم لم يكتف الله بما أخبر به من مغفرة كل ذنب بل أكّد ذلك بتأكيد آخر في قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ ثم علل سبحانه هذا الكلام قائلاً:

٦. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: أي كثير المغفرة، والمغفرة هي التغطية والستر، بمعنى

التغطية على الذنوب والعفو عنها، والغفور وصف لازم لا ينفك عنه سبحانه مهما عظم الذنب أو تكرَّر من العبد .. نعم .. مهما عظم الذنب أو تكرَّر من العبد !!

٧. ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ : الذي يعلم ضعف عباده وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخلهم من نفس أمارة بالسوء وميول وشهوات وأهواء وآفات، ومن خارجهم من شياطين جن تتربص بهم وتقعد لهم كل مرصد، وأعوان لهم من الإنس يستبسلون في إغواء الخلق وبذل طاقتهم من أجل إشاعة الفاحشة في المؤمنين!

ب) تكبيرات الفرح المدوية !!

عن **أبي طويل شطب الممدود** أنه أتى النبي ﷺ فقال : أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئًا وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟! قال ﷺ: **فهل أسلمت؟**

قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

قال ﷺ: **تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن.**

قال: وغدراتي وفجراتي؟!

قال ﷺ: **نعم.**

قال: الله أكبر، فما زال يُكبِّر حتى توارى. صحيح

ثانياً

حكمة الذنب

ما خلق الله شيئًا إلا لحكمة، ولا وقع في كونه حدث إلا بتقديره، وقد تغيب عنا حكمة الأمر فتتخبط عقولنا في متاهات الطريق، فإذا اهتدينا لها سهل علينا الاستفادة منها وتسخيرها في ما ينفعنا، ومن ذلك معرفة حكمة تقدير الذنب.

خرج **عمر بن عبد العزيز** يوم الجمعة فخطب كما كان يخطب، ثم قال: "يا أيها الناس.. من أحسن منكم فليحمد الله، ومن أساء فليستغفر الله، ثم إن عاد فليستغفر الله، فإنه لابد لأقوام أن يعملوا أعمالاً وضعها الله في رقابهم وكتبها عليهم".

وهي ليست حكمة واحدة، بل حكم عديدة، وأولها أن يعلم كل واحد منا الحقيقة العارية التالية، وهو أنه..

✿ **بَشَر لا ملك:** ثبت في الأحاديث الصحيحة قوله ﷺ:

- «**خُلق المؤمن مفتّنا توّابًا إذا ذُكِّر ذكر**».
- «**كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون**».

✿ **التعرُّف على الله:** فمن أسمائه الغفار والعفو والتواب، فلو عصم الخلق فلمن يكون العفو والمغفرة والتوبة إن لم يكن ذنب. قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**». صحيح

وقال **يحيى بن معاذ**: لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه لم يبتل بالذنب أكرم الخلق عليه.

ومن صفاته أنه يحب الستر، فقد سترك في معصيتك وأسبل عليك ستره الجميل فلم يفضحك، ولا أسقطك من أعين الناس.

✿ **التقدم نحو الأفضل:** ومن فوائد الذنب أنه يدفعك إلى التحرُّك نحو الأفضل، فتستدرك ما فاتك، وتحصل ما قصَّرت فيه، وتصل بذلك إلى حال أفضل مما كنت عليه قبل الذنب، وربما صحَّت الأجساد بالعلل.

✿ **النجاة من العُجب:** لولا تقدير الذنب لهلك ابن آدم من العجب، وذنب تذلٌّ به عند الله أحب إليه من طاعة تمتن بها عليه.

✿ **مقياس القرب أو البعد:** الذنب مقياس قرب أو بعدك عن الله، وهو بمثابة لفت نظر لك إن قصِّرت لتصلح ما أفسدت، وتقترب منه إن كنت قد ابتعدت.

✿ **الفرار إليه:** والذنب يدفعك للفرار إلى الله والارتماء على أعتابه، لأنه لا عصمة من ذنب إلا بعصمة الله، ولا توفيق لطاعة إلا بتوفيقه.

ثالثاً

فقه التعامل مع الذنب

أخي ..

لست أول من وقع في الذنب ولن تكون الأخير، فالوقوع في الذنوب صفة بشرية، وقد حدث ذلك لخير جيل عرفته البشرية وأطهر الخلق بعد الأنبياء وهم صحابة رسول الله ﷺ، ففيهم من زنا .. ومن سرق.. ومن شرب الخمر.. ومن تجسَّس عليهم وحاول نقل أخبار المسلمين إلى العدو.. بل ومنهم من ارتدَّ عن الإسلام ثم رجع!!

لكن تعاملهم مع الذنب كان رائعاً، وبحسب التعامل مع الذنب فاز اليوم من فاز وهلك من هلك.

وما هذه الكلمات بتبرير للخطأ والعصيان لكنها سطور هاديات وكلمات مواسيات تربِّت على كتف العاصي وتقول له: قد خسرت جولة لكنك لم تخسر المعركة، وأصابتك الجراح لكنك لم تمُت. فانفض عنك غبار ذنبك، وأسرع في لحاق عدوك، وأبشر بالنصر القريب.

مع أول أدب من هذه الآداب :

الأدب الأول: وتحسبوه هيِّنا أو استعظم ذنبك!

أخي ..

هل إضاعة قرش عندك كإضاعة ألف جنيه؟! هل الرسوب في امتحان

مرجلي كالرسوب في امتحان نهاية العام؟!

لما نزل الموت **بمحمد بن المنكدر** رحمه الله بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته، ولكني أخاف أن أكون قد أذنبت ذنبًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم.

أخي..

الذنوب استجابة لداعي الشيطان بعد أن تخلى الله عنك وهُنت عليه فسلَّمك إلى عدوّه، ولو عز مقامك وارتفع جاهك عند ربك لعصمك، وحركات الظاهر بالعصيان تدُلُّ على سوء الباطن ووهن الإيمان، أضف إلى هذا تنبيه **بلال بن سعد**: " لا تنظر أيها التائب إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظمة من عصيت".

ورسول الله ﷺ سبق وأن حذرك فقال: « **إياكم ومحقِّرات الذنوب ! كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبــزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها: تهلكه**». صحيح

وقد نفَّذ الصحابة وصيته فقال أحدهم مخاطبًا جيل التابعين: "إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشَّعر كنا نَعدُها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات". فكيف بزماننا؟!

ومن هنا كانوا يقولون:

"أربعة بعد الذنب أشد من الذنب: الإصرار والاستبشار والاستصغار والافتخار".

وقال **سهل التستري** مبينًا أن كل ذنب لم تتبعه توبة له عقوبتان على أقل تقدير:

"ما من عبد أذنب ولم يتب إلا جرَّه ذلك الذنب إلى ذنب آخر وأنساه الذنب الأول".

عملية ضرب!!

وتعظيم المعصية هو محصلة ضرب عوامل ثلاثة:

١. تعظيم الآمر:

العظيم

وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قدر معرفتك بالله يكون تعظيمك له، وأعرف الناس بالله: أشدهم تعظيما وإجلالا له، وأشدهم تعظيمًا له أكثرهم معرفة به. قال **الفضيل بن عياض**: "رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله".

وقد ذمَّ الله تعالى من لم يعظِّمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، فقال تعالى:

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (نوح : ١٣)

قال **ابن عباس ومجاهد**: لا ترجون لله عظمة.

وكلما زاد تعظيم الله في قلبك: كلما عظمت عليك مخالفته: لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من هو دونه، فإذا أُضيف إلى ذلك معرفتك بقدر نفسك وافتقارها الأبدي إلى مولاها في كل لحظة ونفس، عظمت في عينك معصية ربك ومخالفة أمره.

٢. تعظيم الأمر:

وتعظيم الأمـر هو من تعظيم الآمـر، وأهل الطـاعات لا ينظـرون إلى الفعل ولكن ينظرون من الذي أمر به، لا ينشغلون بالهدية عن الذي أهدى الهدية.

لو أمرك رئيسك في العمل بأمر وأنت على وشك ترقية منتظرة أو تعديل مرتب،

فكيف تنظر إلى أمره وكيف تكون استجابتك لشرطه؟ ألن يكون

أمره أو حتى مجرد توصيته تعليمات تنفّذ وأوامر صارمة ؟!
فكيف إذا كان هذا مديرًا أكبر أو وزيرًا أو رئيسًا تطمع في نظرة منه ونفحة من عطائه؟! فكيف بمن كل هؤلاء في قبضته.. الله الكبير المتعال؟! لطفه إن نزل فسعادة الأبد في الدارين؟! وإن رُفع فالشقاوة التي لا تنتهي؟!

٣. اليقين بالجزاء:

أي عقوبات الذنوب المعجَّلة في الدنيا ، والمؤخَّرة في القبر أو يوم القيامة أو في النار، وكلما قرأ العبد هذه العقوبات بعيني قلبه وأبصرها ببصيرته كلما كان أكثر تعظيمًا لحرمات الله أبعد عنها، واسمع إلى حساسية **أبي الدرداء** رضي الله عنه في التعامل مع بعيره:

قال **أبو الدرداء** رضي الله عنه لبعير له عند الموت:

يا أيها البعير!! لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أُحمِّلك فوق طاقتك!!

ثمار هذا الأدب

التوبة الفورية المقبولة: فكلما استعظم العبد الذنب كلما كانت توبته منه أسرع، وقبولها أرجح.

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾

(النساء: ١٧)

ومعنى ﴿ مِن قَرِيبٖ ﴾ كما قال **ابن عباس** رضي الله عنه :

قبل أن ينزل به سلطانُ الموته، لكنك تلمح فيها معنى آخر: أنه كلما كانت التوبة عقب الذنب مباشرة، وووقتها قريب من زمن المعصية كانت التوبة أكثر قبولاً، وكلما تأخرت صار الذنب مضاعفة وقبول التوبة منه أبعد.

قال ابن القيِّم:

"المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخَّرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى: وهي توبته من تأخير التوبة".

وغاب هذا الأدب!!

فسقط شبابنا في:

- الإكثار من المباحات والرخص ثم المكروه وصولاً إلى الحرام.
- السقوط في الدائرة الرمادية (دائرة الشبهات).
- عدم الغضب إذا عُصي الله وانتُهكت محارمه.
- عدم تحري الحلال والحرام والسؤال عنهما بعد أن نُزعت منه قرون الاستشعار الإيمانية.
- الإصرار على الصغيرة مع استصغارها مما حوَّلها إلى كبيرة باقتدار.
- التهاون في الحقير من الذنوب أدى إلى التهاون في الكبير.



أذكره أم أنساه؟!

واختلفوا فى نسيان ما سلف من الذنوب، فقال بعضهم: حقيقة التوبة أن تجعل ذنبك بين عينيك، وقال آخرون: حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك، وهما طريقان مختلفان لكن كلاهما يوصل إلى نفس الهدف، فكيف؟!

- إن كان استصحاب الماضى يحرس الإنسان من الانزلاق ويقيه من العودة إلى ما يسخط الله فيجب استصحاب ذلك الماضي، لأنه حينها يشبه التجربة التى تفيد صاحبها دراية بالطريق وتدربا على السير فيه، وقدرة على تخطي عقباته وحواجزه، ونسيان الذنب هنا مقدِّمة السقوط وذريعة إلى الانحراف.

• أما إذا كان الإنسان يكره استعادة صور سيئة انقضى عهدها وانمحى أثرها، ويشعر بأنه قد استأنف عهداً جديداً ووُلد ولادة ثانية، ويرى أن نقل الماضي للحاضر تعكير لصفوه وشلّ لعزيمته، فالواجب هنا أن ينسى ما كان، وأن يُقبل على الحاضر وحده يبني فيه ما ويعمره.

والخلاصة: النفوس مختلفة فى هذا المضمار، وكلٌّ أدرى بما يُصلحه:

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء: ٨٤)

الأدب الثاني : فلا تقعد معهم أو الهجر!!

أخي..

مجالس

من لم يسلك طريقك ويأخذ نفس خطوتك، فهؤلاء يقومون بتحطيمك، ويضعون أمامك العراقيل التي توقف مشروع توبتك وتدمر خطتك الإيمانية، ويقعدونك عن النهوض بنفسك والوثبة بها نحو الجنة، هؤلاء هم النار في صورة الجنة، والهلاك في ثوب نجاة، والعدو تحسبه الصديق، أيأخذ أحدكم النار في حضنه ولا يحترق؟! ويمشي على الجمر دون أن تكتوي قدماه؟!

إن المعصية ليست وليدة المفاجأة والصدفة! بل لها مقدمات وأسباب إذا حصلت حصل نتاجها، وإن إلف العبد وتساهله في ارتياد مواطن المعصية ورفقة السوء يورث عنده فتورا عن الورع والحزم والعزم، كما يورث في نفسه إقبالاً على المعصية والخطيئة وبُعداً عن التوبة والأوبة، ومن هذا الباب: النهي عن ارتياد مواطن العذاب والإهلاك.

لما مرّ النبي ﷺ بأصحاب الحجر أثناء سيره إلى غزوة تبوك زجر ناقته فأسرع حتى خلّف هذه الديار وراء ظهره قائلاً: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم**». صحيح

ومثله إسراع النبي ﷺ في وادي محسر أثناء الحج وأمره الصحابة بذلك لأن أصحاب الفيل هلكوا هناك، وفي هذا إشارة إلى كل لبيب:

كيف تتعامل مع أماكن العصيان وارتكاب الآثام بعدم الدخول فيها والإسراع عند المرور بها لئلا تتعرَّض لسخط الله النازل على أهلها، بل وعدم الدخول في ما يؤدي إليها: صديقًا كان أو مجلة أو شريطًا أو رقم هاتف أو فيلمًا أو مسلسلاً أو ناديًا أو مجلسًا!! وبهذا تضمن ثبات توبتك وعدم انتكاستك.



الأدب الثالث: أصلح باطنك أو راقب خواطرك.

من رحمة الله بنا أن جعل خواطر القلوب لا تدخل تحت الاختيار وبالتالي لا تدخل في دائرة الحساب، فلو ترتبت عليها الأحكام لكان في ذلك أعظم حرج ومشقة على الأمة، ورحمة الله تأبى ذلك.

✿ لكن هذا لا ينافي أن الخواطر هي شرارة العمل الأولى، وأن استقامة الأقوال والأعمال تنشأ من حراسة الخواطر وحفظها وعدم إهمالها والاسترسال معها، فإن أصل الفساد كله من قبل الخواطر لأنها بذور الشيطان في أرض القلب، فإذا بذرها الشيطان تعاهدها بسقيها مرة بعد أخرى حتى تصير إرادات، ثم يسقيها حتى تكون عزائم، ثم لا يزال بها حتى تثمر أعمالاً، ولا ريب أن دفع الخواطر أيسر من دفع الإرادات والعزائم.

الخلاصة:

القلب لوح والخواطر نقوش تنقش فيه، والقلب ملك يصدر أوامره إلى جوارحك، فبماذا يأمرها إذا كان النقش سوءًا وخبيثًا وعلى يد إبليس؟!

نوران هاديان!

وإصلاح الخواطر عن طريقين متوازيين:

الأولى: تفريغ القلب من الخواطر السيئة بعدم الالتفات إليها أو استدعائها.

وذلك بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فور ورودها مع عدم التفرد والوحدة لمحاصرتها.

الثانية: فإذا تفرَّغ القلب كان لابد من ملئه، فاملأه واشغله بالنافع المفيد عن طريق ملء الأوقات بكل عمل مفيد نافع، ومن ثم تكون المدخلات إلى العقل من البيئة الطاهرة هي الخواطر الحسنة والأفكار الطيبة، لأن خواطر القلب وحديث النفس ليست إلا وليدة البيئة التي يضع الإنسان فيها نفسه ويقضي أكثر وقته.

الأدب الرابع: واصبر نفسك أو جالس الأبرار

تدبر قوله ﷺ: «**المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه**».

فالمؤمن يرى من أخيه ما لا يراه أخوه من نفسه، ثمٍ يخبر أخاه بما رأى كما يعلم شكل وجهه بالنظر في المرآة، ومعنى «**يكف عليه ضيعته**» أي يمنع تلفه وخسرانه فهو مأخوذ من الضياع، ومعنى «**ويحوطه من ورائه**» أي يحفظه ويصونه ويذب عنه بقدر الطاقة ويعامله بالشفقة ويسدي إليه النصيحة، فهل رأيتم أجمل من الحديث السابق في شرح وظيفة الصحبة الصالحة؟!

وصحبة الأخيار وقاية من المعاصي لعدة أسباب:

السبب الأول: مجالسة الأخيار حماية من الخلوة، والخلوة تؤدي إلى تفرد الشيطان بالعبد الضعيف ليصرعه بالوقوع في أسر الخواطر ثم يكون غشيان المعاصي.

السبب الثاني: النصح النافع المانع، فإن الأخوة الصادقة تُحتِّم على المتآخيين أن ينصح كل منهما الآخر، لا أن يزين بعضهم لبعض تقصير بعض.

السبب الثالث: التنافس معهم في الخير ومسابقتهم في سلوك طريق النجاة.

السبب الرابع: الندم والحسرة والتألم على المعصية إنما تجنيه من الصحبة الصالحة، فهو من ثمرات صحبتهم، وإنك حين تفارقهم فسرعان ما يخفت هذا الصوت حتى ينعدم ويختفي أثر النفس اللوامة!!

ومن هنا نعلم أن ترك صحبة الأخيار بحجـة كثرة الذنوب والمعاصي من أعظم وأخطر حيـل الشيطان ومداخلـه، وهب أنك فارقت الأخيار فهل سيزول ما تشكو منه من عصيان؟!

أم أنك ستفقد عندها الدواء ويستفحل الداء!! إن الابتعاد عن صحبة الأبرار يساوي الارتماء في أحضان الأشرار، وهؤلاء يزينون المعصية ويقحمون العبد فيها!!

الأدب الخامس: فرغت فانصب أو اذبح فراغك!

أخي..

كيف تعطي الشيطان الخنجر الذي يطعنك به؟! ولماذا تكرر الجريمة وبنفس الكيفية؟! جريمة اغتيال الإيمان وقتل الصفاء. ألا تعلم أن كل وقت فراغ لا يسده العبد سيملأه الشيطان بخواطر سوء تقود ولابد إلى أفعال سوء. والوقاية خير من العلاج. وعدم إفساح الطريق للخواطر السيئة بأن لا يُسمح لها بالنشوء ابتداء أسهل بكثير من محاولات صرفها ومحوها من الذهن بعد استفحالها. لذا كان شغل الفراغ بالهوايات المفيدة والأنشطة الترفيهية المباحة والطاعات والقربات من أقوى الأسلاك الشائكة التي توضع في مواجهة الشيطان. لتمنع زحفه على القلب واستيلاءه عليه.



وكان من الوصايا الشفائية الغالية: "نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل"، وكانت صيحة كل تائب اكتوى بنار الذنب يوما: "لو كان الفراغ رجلاً لقتلته".

وهو سرٌّ من أسرار التوجيه الرباني:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ (الشرح: ٧)

فقد أمره ربه بأن لا يخلي وقتًا من أوقاته أبدًا، فإذا فرغ من عبادة أتبعها بأخرى، فما هي هذه العبادة الأخرى؟! اسمع الأقوال:

قال **ابن عباس** رضي الله عنه: فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء.

وقال **ابن مسعود** رضي الله عنه: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل.

وقال **الحسن وقتادة**: إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك.

وقال **الجنيد**: إذا فرغت من أمر الخلق فاجتهد في عبادة الحق.

إن إشغال النفس بعمل الصالحات (**صلاة.. صيام.. بر وإحسان.. صدقات.. زيارة مريض.. إجابة دعوة.. تحضير كلمة.. سماع شريط.. مباسطة الأهل والإخوان...**) هو أهم وقاية يتخذها العبد ضد جراثيم الذنوب وأوبئة المعاصي، وهو بمثابة سد الفراغات في جدار القلب كي لا يتسلل منها الشيطان.

واسمع فرسان الميدان يا عاشق الجنان وكيف عرفوا هذا الأدب وأعلوا قيمته:

قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: "إني أكره الرجُل أن أراه يمشي سبهللا: لا في أمر الدنيا، ولا في أمر آخرة"، وفي رواية أنه قال: "إني لأنظر إلى الرجل فيعجبني، فإذا قيل: إنه لا عمل له سقط من عيني".

الأدب السادس: استغفروا ربكم أو الاستغفار المتدفِّق

جرعة متعددة المفعول تستخدم للوقاية والعلاج في آن واحد، فالاستغفار فضائله كثيرة وبـركاته غزيرة لا تحصى ولا تُعدُّ، ومنها:

الأول: الوقاية من السقوط ثانية.

الثاني: محو الخطايا والذنوب.



الثـالث: صقل القلب وكونه أصفى وأنقى، ألم تر إلى الأرض التي تُمسح كل يوم مرات عديدة ألا تبهرك بلمعانها وبريقها؟ وكذلك القلوب مع الاستغفار.

الرابع: أنه مما يُعجب الرب من عبده، فعن علي بن ربيعة أنه شهد **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه وقد أُتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الرِّكاب سمى الله ودعا بدعاء الركوب ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين.. من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله !! من أي شيء ضحكت؟ قال: «**إن ربك يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري**».

وبعد كل هذا الفضائل ما الذي بقي لك حتى تواظب على الاستغفار؟!

الصيغة الشاملة

وقد علَّمنا النبي ﷺ هذه الصيغة الرائعة لتغطي كل الذنوب التي تخطر ببال العبد والتي لا تخطر بباله، فقال ﷺ:

«**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير**». صحيح

ولم يفارق الاستغفار رسول الله ﷺ حتى قُبضت روحه ليكون آخر ما ختم به حياته: الاستغفار!!

روت أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها تفاصيل اللحظات الأخيرة من حياة هذا الكمال البشري الرائع فقالت: فنزع يده من يدي وقال:

«**اللهم اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى**».

قالت: فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه ﷺ.

وهي سنة الأنبياء من قبل، **فنوح** عليه السلام دعا:

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾

وإبراهيم عليه السلام نادى:

﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾

وموسى عليه السلام:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ﴾

وعند هذا... يقف المرء مذهولاً:

وأي خطيئة ارتكبها أنبياء الله حتى يستغفروا؟!

ماذا جنت هذه النفوس الطاهرة؟!

وأي خطيئة أسرَّها وأعلنها وقدَّمها وأخَّرها هؤلاء الشوامخ؟!

اللحظة الفارقة

قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ صاحب الشمال ليرفعُ القلم ستَّ ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كُتبت واحدة».

وهو ما يجعل توقيت الاستغفار في غاية الأهمية، والمبادرة إليه على الفور سر فاعليته، فالتأخر عنه يجعل الذنب ثابتًا ومحوه من الصحائف أصعب.

بقي أن نقول لأخواتنا أن حظهن من الاستغفار على قدر عددهن في النار، فهو في حقهن أوجب. قال ﷺ مخاطبًا حواء:

«يا معشر النساء! تصدَّقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير». صحيح

شروط ثلاثة

ولكي يحدث الاستغفار أثره الفعَّال فلابد معه من **الإكثار والاستمرار وعدم الإصرار**، فأما **الإكثار** فلحديثين لرسول الله ﷺ غاليين يغريان كل كسول بالنهوض وكل عاص بالإقدام: «**طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**».

والثاني: "**من أحب أن تسرُّه صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار**".

فأينا لا يحب أن تسره صحيفته؟!



وقد سنَّ الله لنا الاستغفار في مواضع كثيرة ليساعدنا على نفوسنا وينصرنا على غفلتنا:

- بعد الخلاء: غفرانك.
- وعند دخول المسجد: رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك.
- وعند الخروج منه: رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك.
- وفي الصلاة في الركوع والسجود: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي.
- والجلوس بين السجدتين: رب اغفر لي.. رب اغفر لي.. رب اغفر لي.
- وبعد التشهد: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.
- وعقب الصلاة: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.
- وفي السَّحَر: لقوله تعالى:

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات: ١٨)

- وعند ختام المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت



أستغفرك وأتوب إليك.

✿ إضافة إلى الاستغفار بعد كل ذنب وزلة: لقوله ﷺ: «**ما من عبد يذنب ذنباً، فيتوضأ فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله بذلك الذنب إلا غفر الله له**».

حتى يكون آخر موعد لك مع الاستغفار عند غروب شمس يومك: نومك!! لتكون جلسة الحساب الختامي التي أوصاك بها **مكحول الشامي**: "من أوى إلى فراشه ثم لم يتفكَّر فيما صنع في يومه، فإن عمل خيراً حمد الله، وإن أذنب استغفر ربه عز وجل، وإن لم يفعل كان مثل التاجر الذي ينفق ولا يحسب، حتى يفلس وهو لا يشعر".

وكل هذا هدفه أن تلين الألسنة للاستغفار وتعتاد عليه، وتجد نفسها تتقلب على مدار اليوم بين جرعات استغفار متكررة، وبذلك يدفعنا ربنا إلى المغفرة والرحمة دفعاً.

وأما **الاستمرار** فلما رُوي عن **لقمان** أنه قال لابنه: "يا بني!! عوِّد لسانك اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً".

وهي نفس وصية **الحسن البصري**: "أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة".

والاستغفار أوجب عند وقوع الذنب.. قال **بكر بن عبد الله المزني**: "أنتم تكثرون من الذنوب فاستكثروا من **الاستغفار**، فإن الرجل إذا وُجِد في صحيفته بين كل سطرين استغفار سره ذلك".

وأما **عدم الإصرار** فبالجمع بين استغفار اللسان والقلب لأن "الاستغفار طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما، فالأول فيه نفع لأنه خير من السكوت، ولأنه يعتاد قول الخير، والثاني نافع جداً، والثالث أبلغ منهما".

الأدب السابع: لا تثريب عليكم أو لا تعيِّر مذنبًا!!

قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه! لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم يتتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**». صحيح

إنها عقوبة شديدة تدفع العبد إلى عدم الترفع على أي عاصي ولو كان مرتكب كبيرة، فقد أوصى النبي ﷺ: «**إذا زنت أَمَة أحدكم فتبين زناها فليجلدها ولا يثرِّب**». صحيح

ولا يُثرِّب أي لا يُعيِّر، وقد أعطى النبي ﷺ الدرس العملي للصحابة في ذلك، فلما جُلد عنده رجل وهو عبد الله المُلقَّب بالحمار، جاء من عدة أخبار من البخاري وغيره أن رجلاً قال له: أخزاه الله وفي رواية: لعنه الله، فقال ﷺ: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**».

ذلك أن المذنب إذا أقيم عليه الحد ارتفعت عنه التبعة وكان الحد تطهيرًا لذنبه، وذنوب أهل الإسلام عورة يجب سترها، وقد روى أبو الهيثم كاتب **عقبة بن عامر** رضي الله عنه قال: قلت لعقبة.. إن لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشُّرط فيأخذونهم. قال: لا تفعل ولكن عظهم وتهددهم. قال يفعل ذلك بهم شهرًا، ثم جاء أبو الهيثم إلى عقبة فقال: إني نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشُّرط فقال له عقبة: ويحك!! لا تفعل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة من قبرها**».

ولهذا الحديث شاهد صحيح حيث رحل **جابر بن عبد الله** رضي الله عنه إلى مصر خصيصًا ليحصل على حديث واحد من الصحابي الجليل **مسلمة بن مخلد** رضي الله عنه الذي قال: بينا أنا على مصر، فأتى البواب فقال إن أعرابيًا على الباب يستأذن، فقلت من أنت؟ قال: أنا **جابر بن عبد الله**. قال فأشرفت عليه فقلت أنزل إليك أو تصعد؟ قال: لا تنزل ولا أصعد، حديث بلغني أنك ترويه عن رسول الله ﷺ في ستر المؤمن جئت أسمعه. قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موءودة**». فضرب

جابر بعيره راجعًا بعد ما أخذ ما أراد!!

وعكس من يسترون: الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين يؤمنون، وهؤلاء توعّدهم ربنا بقوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النور: ١٩)

قال **ابن رجب**: "والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه أو اتُّهم به وهو بريء منه".

وهي آفة نفسية وعلة روحية وتشوه سلوكي أصاب الفطرة السوية وابتلي به البعض اليوم، وقد برأ منه خير جيل: جيل الصحابة، لذا لما مرَّ **أبو الدرداء** رضي الله عنه على رجل قد أصاب ذنبًا وكانوا يسبُّونه فقال: أرأيتم لو وجدتموه في بئر ألم تكونوا مستخرجيه؟! قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم: قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.

وقبله قال **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه: "لو أخذتُ سارقًا لأحببت أن يستره الله، ولو أخذتُ شاربا لأحببت أن يستره الله عز وجل".

ولم لا وقد تعلموا ذلك من خير مُعلِّم رسول الله ﷺ، واسمعوا وعوا: استأجر أحد الصحابة واسمه هزال صحابيًا آخر هو **ماعز بن مالك**، وكان لدى **هزال** جارية يُقال لها فاطمة، وكانت ترعى غنما له، فوقع عليها **ماعز** وزنا بها، فأخبر **ماعز** بذلك **هزالاً** فخدعه هزال ليذهب به إلى رسول الله ﷺ قائلاً له: انطلق إلى النبي ﷺ فأخبره عسى أن ينزل فيك قرآن، فأمر به النبي ﷺ فرُجم، فقال النبي ﷺ: «**ويلك يا هزال!! لو كنت سترته بثوبك كان خيراً لك**». صحيح

عقوبة التعيير!!

وعقوبة التعيير الدنيوية ابتلاء المعيِّر بما عيَّر به غيره!!

ركب **محمد بن سيرين** الدَّين وحبس به قال: إني أعرف الذنب الذي أصابني هذا عيَّرتُ رجلاً منذ أربعين سنة فقلت له: يا مفلس، وما أصدق قول القائل:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيكشف الله سترًا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا ولا تَعِب أحدًا منهم بما فيكا

ومما سبق خرج **الفضيل بن عياض** إلينا بهذه النتيجة:

"المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويُعيِّر".

ولعل كلمة الفضيل القاسية ووصفه للمعيِّر بالفجور مردُّها أن التعيير بالذنب برهان على إفراط صاحبه في ثقته بنفسه وتزكيته لها، والغرور بوّابة الهلاك وأمارة من أمارات استغناء العبد عن مولاه، وأين هذا عن أعرف الخلق بالله حين قال أحدهم:

﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (هود: ٤٧)

وقال الآخر:

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣)

الأدب الثامن: لا تُجاهر أو الاستتار!

دلَّت النصوص النبوية على أن المعصية التي يستتر صاحبها أخف جرمًا من التي يعلنها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإنَّ من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه».

وقد ذمَّ الحديث من جاهر بالمعصية، فاستلـزم ذلك مـدح من استتر بها، وستر الله لعبده هو جزاء له من جنس عمله حيث ستر العبد نفسه أولاً فستره الله تبعًا لذلك، فمن قصد إظهار المعصية والتبجح بها أغضب ربه فهتك ستره، ومن تستر عند عصيانه منَّ الله عليه بستره في الدنيا، ومن ستـره الله في الدنيـا لم يفضحه في الآخرة، فاللهم لا تهتك لنا سترًا في دنيا ولا آخرة.

وقد أحصى **المناوي** في المجـاهرة بالذنب أربع جنايات فقـال: "وذلك خيانة منه على ستر الله الذي أسدله عليه، وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه أو أشهده، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلظت به، فـإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه صارت جناية رابعة".

ومن المجاهرة اليوم: تبرج النساء في الطرقات، وفحش اللسان واللعن عند الخصومات، والتباهي بارتياد أماكن العصيان وكسب السيئات.

والآن مع هذا المشهد الأخروي الذي يبين قيمة الستر الرباني وعظمة الجود الإلهي:

قال ﷺ: «**إنِ الله تعالى يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس، ويقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم.. أي رب حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يُعطى كتاب حسناته بيمينه**».

والكنف: الجانب والساتر والعون، وهو هنا حفظه وستره وصونه عن الخزي والفضيحة، وهو مستعار من كنف الطائر وهو جناحه يصون به نفسه ويستر به بيضه فيحفظه، والكنف والدنو كلاهما مجازان لاستحالة حقيقتهما على الله تعالى.

كفتا الميـزان

لكن إياك أن تشعر من ذلك أني أحثك على معاصي السر، كيف والنبي ﷺ

قد أخبر عن أناس يأتون بأمثال جبال تهامة حسنات فيجعلها الله هباء منثورا ذلك بأنهم خلوا بمحارم الله انتهكوها، لكنها دعوة إلى عدم خلع برقع الحياء مع الله إن حدث ووقعت في الذنب حفاظًا على حرمة المجتمع ولعدم نشر الفساد إليه.

الأدب التاسع: حملة إعمار أو حسنات تغلب السيئات!!

أنوار الطاعات تبدِّد ظلمات المعصية، والدليل قول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

ولهذه الآية قصة، ففي صحيح البخاري عن **أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله.. إني أصبت حدًا فأقمه عليَّ. قال ولم يسأله عنه. قال وحضرت الصلاة فصلى مع النبي ﷺ، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام إليه رجل، فقال: يا رسول الله.. إني أصبت حدًا فأقم فيَّ كتاب الله. قال ﷺ: «**أليس قد صليت معنا؟ قال: نعم. قال: فإن الله قد غفر لك ذنبك أو قال حدك**».

وهو ما تلمحه في صلاة التوبة وهي عبارة عن ركعتين عقب الذنب تمحوان أثره: قال رسول الله ﷺ:

«**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**».

وعمل الحسنة بنية تكفير السيئة أنفع بكثير من فعل الحسنات المطلقة بسبب:

- أن ذلك يبعث في النفس اليقظة والمراقبة لتتوب من المعصية فور وقوعها بلا تسويف أو تأجيل.
- أن هذا أعظم ما يمحو الله به السيئات: لأن العبد هنا جمع بين الفعل والنية: فعل الحسنة، ونية التوبة على الوقوع في تلك السيئة، وقد قدَّم النبي ﷺ فى الحديث "السيئة" لأن المقصود هنا محوها لا مجرد فعل "الحسنة" فحسب.

لكن السيئات ليست على درجة واحدة، فكل سيئة لها ما يقابلها، وليس كل سيئة تمحوها أي حسنة، بل إذا عظمت السيئة وكبرت لم يمحها إلا الحسنات العظام: والصغير من الذنوب تمحوه الصغيرة من الحسنات.

وتبقى وصية ذهبية للإمام **ابن تيمية** تجعل المغفرة أرجى: "وينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات فإنه أبلغ في المحو".

هدي التربية النبوية!!

وليس بالكلام وحده علَّمنا رسول الله بل رسَّخ معنى التوبة عن طريق العمل الصالح بتربيته للصحابة على هذا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله.. وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. قال: هل تجد إطعام ستين مسكينًا؟ قال: لا، فسكت فبينا نحن على ذلك أُتي النبي ﷺ بعرق تمر، فقال: أين السائل؟ خذ هذا تصدَّق به، فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟! فوالله ما بين لابتيها أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك.

وفي رواية مسلم أن الرجل قال: احترقت يا رسول الله، بل وفي رواية مرسلة في الموطأ أن الرجل جاء وهو في شدة الوجل والخوف: جاء أعرابي يضرب فخذه وينتف شعره، يقول: هلك الأبعد.

فانظر كيف دلَّه رسول الله ﷺ على العمل النافع، وأرشده إلى العمل من بعد العمل، وكلما عجز عن حل أرشده إلى غيره.



حيلة إبليسية مفضوحة!!

وبعض الشباب اليوم أصحاب معاصي وزلات، فإذا قلت له: اعمل صالحًا تكفِّر به من خطاياك، قال: أخشى أن أكون منافقًا!! فإذا قلنا: لماذا؟ قال: لأني

آتي المسجد وأصلي وأنا صاحب ذنوب كثيرة.

فهل يكمن الحل في نظره في القعود عن العمل واعتزال الساحة وفي حبس النفس مع إبليس في قفص واحد؟!

الأدب العاشر: الهجمة المرتدة أو ادعُ غيرك!!

يا شباب..

إن ترك الدعوة إلى الله اليوم بحجة أنكم عصاة هي من أمكر حيل الشيطان، ولا شك أن القول الذي لا يصدِّقه عمل أمر مذموم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ (الصف: ٢،٣)

لكن... لو لم يعظ إلا معصوم ما وعظ الناس أحد بعد رسول الله ﷺ.

قيل **للحسن**: "إن فلانا لا يعظ ويقول: أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن: وأينا يفعل ما يقول!! ودَّ الشيطان أنه ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينه عن منكر، وقال **سعيد بن جبير**: "لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر".

ومن هنا يتضح أن واجب المرء تجاه المنكر واجبان متلازمان متوازيان:

تركه للمنكر والنهي عنه، ونحو المعروف واجبان كذلك: فعله للمعروف والأمر به، وهو قول المفسِّر **الحافظ ابن كثير**:

"فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر"، ويتضح من هنا أن ترك النهي عن المنكر بحجة الوقوع في الذنب منكر آخر ينبغي محاربته والتصدي له!

بين قلم وممحاة

كان بداخل المقلمة ممحاة صغيرة، وقلم رصاص جميل .. دار بينهما هذا الحوار:

القلم: سأظل أكتب في صفحات الحياة مهما طال عمري، غير أني أخشى خطئي.

الممحاة: لا عليك يا قلمي.. فأنا في أثرك أمحو ما أسأت.



القلم: ولن تيأسي مني؟!

الممحاة: أبداً.

قال القلم: وتمحين كل ما أخط؟!

الممحاة: أنا لا أمحو غير الأخطاء.

القلم: مهما كبرت أو تكرَّرت؟!

الممحاة: جرِّبني ولن تندم.

فقال القلم محزونًا: لكنني أحيانا أسأل نفسي: هل من الأفضل لي مع كثرة الزلل أن أتوقف عن العمل؟!

الممحاة تواسيه: إياك يا صاحبي .. فالاستمرار مع التقويم خير ألف مرة من الانقطاع مع اليأس.

القلم: لكن .. أما لهذه الأخطاء من نهاية؟

الممحاة: نهايتها عندي!!

وهنا صاح القلم مسروراً: ما أعظمك وأنفع صحبتك! والله لن أتخلى عنك أو أنساك لحظة واحدة بعد اليوم يا أغلَى الأصحاب وأقرب الأحباب.

رابعاً

وأتممناها بعشر!!

وأخيراً قبل أن أغادرك

١. إياك أن تنسى أيًا من هذه العشرة فتقع لك العثرة.

٢. واستقل منها أو استكثر فإنما تضع من أوزارك أو تستكثر.

٣. ونفِّذ في الحال لا تسوِّف بالفعال.

٤. والدوام الدوام صفة كل هُمام.

٥. وراجعها كلما سهوت، وخضت بحر الحياة وغزوت.

٦. وادعُ إليها عاصيًا يتخلَّص من وِزره فتنال أنت مثل أجره.

٧. وابدأ بأقربائك نستدل على وفائك.

٨. وأعطها لخطيب الجمعة الذي في جوارك ليبثَّ الأمل في ربوع جيرانك.

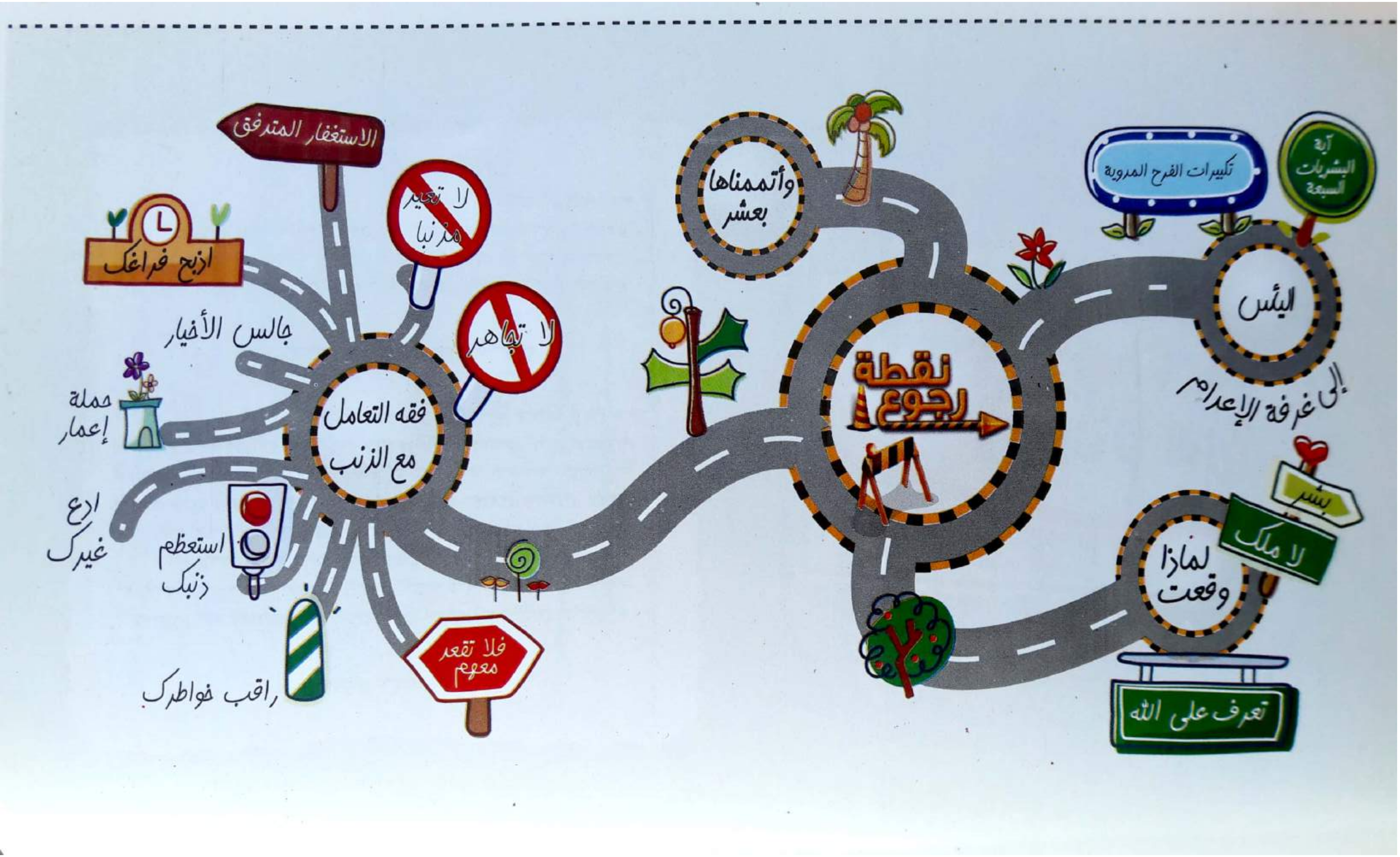
٩. وحمِّلها على موقع شبابي أو بريد إلكتروني لتنشر النور البهي وتهدي الشباب النديَّ.

١٠. وادع لكاتبها بالقبول والغفران، ولك وله بالثبات وقهر الشيطان.

وآخر وصية.. إياك ثم إياك..

سئل **سهل التستري** رحمه الله: ما علامة المنافق؟ فقال: يُبصر الشيء عند مذكراته، فإذا قام من عنده كأنه لم يخطر على قلبه، قال الله تعالى:

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾ (البقرة: ٢٠)


الاستغفار المتدفق
لا تعيد ذنبا
اذبح فراغك
لا تجاهر
جالس الأخيار
حملة إعمار
ادع غيرك
استعظم ذنبك
راقب خواطرك
فلا تقعد معهم
فقه التعامل مع الذنب
وأتممناها بعشر
نقطة رجوع
تكبيرات الفرح المدوية
آية البشريات السبعة
اليأس
إلى غرفة الإعدام
بشر
لا ملك
لماذا وقعت
تعرف على الله

الضربة الثلاثية!!

روت كتب السيرة أنه في غزوة الخندق حين تألب الأحزاب على المسلمين عرضت للنبي ﷺ وأصحابه صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

فندر (سقط) ثلث الحجر، وبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم ضرب الثانية وقال:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

فندر الثلث الآخر فبرقت برقة، ثم ضرب الثالثة وقال:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ، فأخذ رداءه وجلس.. وقد أخبر النبي ﷺ سلمان الفارسي أنه رأى مع الضربة الأولى مدائن كسرى وما حولها، ومع الضربة الثانية مدائن قيصر وما حولها، ومع الثالثة مدائن الحبشة وما حولها، وبشر أصحابه بفتحها وغنمها.

وأمامنا اليوم مثل هذه العقبة الكؤود، ولابد لنا من تحطيمها لفك حصارين اثنين خانقين، حصار إخواننا في غزة عن أسباب حياتهم، وحصارنا نحن معهم عن أسباب نصرتهم!! واقتداء بنبينا وتبركا بضرباته.. إليكم ضربات ثلاث لازمة

لتحطيم صخرة اليوم وهي من جنس صخرة الأمس إن لم تكن أشد، فارفعوا معاولكم.. واحزموا أمركم.. وقولوا معي.. بسم الله.. مع..

الضربة الأولى.. أصلح نفسك:

حبيبي.. أنا لا أشكك في ألمك إثر كل محنة تصيبنا أو حياة قلبك.. لكن.. إن كان كذب اللسان أن يقول ولا يفعل، فإن كذب القلب -وهو الأخطر- أن يبرم العقد مع ربه ثم لا يفي، وكثير ممن حولك جمع بين الكذبين، وأنا أخاف عليك وباءهم أن يعديك!

وهذه الضربة بمثابة عملية تغيير شاملة تجعل عالي النفس الباطل سافلها، وتهدم ما بنى الشيطان لتشيد على أنقاضه بناء شامخا يحوي الحق ويحميه، وسط عالم يموج بالتغيير كل لحظة، مما فرض على المؤمن أن يواكب عصره، ويوجه التغيير الواقع لا محالة نحو الأفضل، وإلا هوى به نحو الأسفل تحت تأثير غزو الباطل وحصار الحق، شعارك في معركة التغيير:

إلى الأعلى وإلا هويت!!

إن التغيير الداخلي لنفوسنا هو الأساس اللازم لدخول التغيير الإلهي المرتقب حيز التنفيذ، وهو تغيير شامل يتجاوز حروف كلمة (تغيير) الخمسة إلى ساحات خمسة أوسع:

ساحة القناعات: الإيمان بأن تغيير العالم بأسره إنما يبدأ من الداخل.. من أعماق نفوسنا لا من خارجها، وأن مفتاح

حل الورطة الحالية هي أنا وأنت، وأن عملية التغيير المرتقبة يرعاها ربنا من فوق سبع سماوات لذا ترتبط بحرفين اثنين: الكاف والنون، (كن) وينتهي الأمر.

ساحة العبادات: عدم الرضا عن النفس أو القناعة بواقعها الإيماني الحالي، والطمع الدائم في طاعات أفضل ومقامات أرقى تدني من المولى سبحانه، وهذه هي النفس اللوامة: تلوم نفسها في الحالين: حال المعصية أن وقعت فيها، وحال الطاعة أن لم تستزد منها ولم تحقق معانيها ومقاصدها بشكل أفضل.

ساحة الهدايات: فتح ميادين للدعوة أوسع والابتكار والتجديد والإبداع والإفادة من تجارب الآخرين ولو كانوا كافرين، والبناء على العلوم البشرية والخبرات الإدارية المتلاحقة وتسخيرها من أجل إحداث أثر دعوي أقوى وأدوم.

ساحة العادات: تغيير صفة قبيحة أو اكتساب أخرى حميدة، بل وتمتد رياح التغيير إلى أن تشمل عاداتنا الجميلة الموروثة، فنطور منها ونرتقي بها لنجني منها شهدا أحلى وثمرا أطيب وغرسا أوفر، وهل النجاح في بعض معانيه إلا تغيير يتم فيه تأدية المهام الاعتيادية بصورة غير اعتيادية.

ساحة المبادرات: تغيير بامتلاك زمام المبادرة بدلا من الرقود في مربع المتأثرين، والانتقال من رد الفعل إلى صناعة الفعل ذاته.

هذا التغيير بأضلاعه الخمسة هو التغيير الذي ننشده وتنتظره الأمة وترتقبه، وما تأخر نصرنا إلا لأننا لم نصل بعد إلى المستوى المطلوب من التغيير المنشود، وما النصر إلا من عند الله، فإنه سبحانه بيده أمرنا وأمر عدونا.. ولو اطلع على قلوبنا ورضي عنها ما سامنا ألوان الهوان وضروب العذاب على يد عدونا.

وإلى الآن.. لم تتكسر الصخرة بعد.. انكسر ثلثها.. وبقي الثلثان.. فليست ضربة الصلاح وحدها كافية.. إلا أن تتبعها بضربة ثانية.. تساهم في إضعاف الصخرة وتسهل تحطيمها.. هيا ارفع يديك عاليا.. واستعد لتوجيه..

الضربة الثانية.. ادعُ غيرك:

وهو بمثابة الترميم الأفقي بمعنى الانتشار بين الخلق:

- أخذا بأيديهم إلى طريق الهداية..
- إنقاذا لهم من مهاوي الحرام ومراتع الشهوات..
- خلقا نبيلا نتمثله غاب عنهم طويلاً..
- تعاونا معهم على الخير نوصد به الباب في وجه الشر..
- انتشالا لهم من الطواف حول الذات والسعي على الملذات إلى الطواف على مصالح الآخرين.
- غرسا لحب الغير ابتداء من حدود الأسرة الضيقة إلى دائرة الجيرة الأوسع وصولا إلى أفراد الأمة بأسرها أينما وجد مسلم في أدنى الأرض أو أقصاها، لتسود قيمة الإيثار بعد أن طغت رذيلة الأثرة وأعيت.

■ انتقالاً من دائرة الصلاح السلبي إلى الإصلاح الإيجابي.. أما أنتم.. يا من حصرتم صلاحكم في دائرة نفوسكم فبخلتم عن غيركم وحبستم نوركم عن إخوانكم.. وظننتم أن دعاءكم للمعذبين وحده يسقط عنكم تبعة الحساب وهول العذاب..

أقول لكم: الدعاء وحده لا يكفي..

فلابد معه من عمل صالح يرفعه وإلا فهو علينا مردود ومن الإجابة مسلوب، والبرهان أصدق كلام:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾

عرفتم الآن لماذا تكسرت سهام دعاء الكثيرين على أبواب الإجابة!!

سقط إلى الآن ثلثا الصخرة، ومن أدام الضرب بلغ الهدف، فمع الضربة الثالثة وهي الأهم.. فهيا.. على بركة الله إلى..

الضربة الثالثة.. ثبِّت قلبي رباه:

رفاقي في نصرة الدين..

تريدون اختبار قوة نفوسكم ومقدار مروءتكم وصلابة إيمانكم؟!

إذًا فاسألوها:

هل ثورتنا بعد كل أزمة فورة يوم أو يومين ثم برود وغفلة؟!

أتبكي عيوننا برهة من الزمن ثم سرعان ما ينقلب الدمع طربا، وتتغير حروف كلمة (ألم) لتصير (لذة)، وتتوارى مع

مرور الأيام انكسارات الحزن خلف اهتزازات اللذة؟!

إننا إن أردنا بحق الخروج من هذه الورطة فلا مناص من ثبات الأداء حتى يتحول حماسنا وغضبنا وعملنا من الطفرة العابرة إلى العادة الراسخة، كأنها أنفاس تتردد لو انقطعت عنا لمتنا، ويعود يؤرق منامنا كل ليلة سؤال واحد يبعثه كل منا لنفسه:

ماذا بذلت اليوم لديني وأمتي.. من وقتي.. من بدني.. من مالي.. أرق لا يهدأ إلا إذا كان الجواب حاضرا بالإيجاب!!

هذا الدوام وطول النفس هو ما ميز عالي الهمة عن غيره، حتى جاء في وصفه أن نفسه تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا، أما قصر النفس والانقطاع بعد العمل والرقدة بعد الهبة فشيمة أكثر الناس.

إخواني في حب الشهادة..

اغتنموا حزنكم.. لا تقتلوه عسى أن ينفعنا.. اجمعوا كل حسرة قلب.. كل زفرة ألم.. كل دمعة تحجرت في المآقي.. واجعلوها في جعبة واحدة... ثم أوقدوا تحتها نار الكمد وجمرة الغضب حذار أن تنطفئ..

ثم..

فجروها ثورة..

شعارها:

مضى عهد النوم.. كما صدح بها نبيكم أول مرة.

وقودها: ١

كيد أعدائكم المصبوب على رؤوسنا صباح مساء.

جنودها:

كل من آمن معكم بفرضية التغيير وحتمية الإصلاح.

افعلوا هذا وأنتم ترفعون فوق رؤوسكم وتظلللون الناس من حولكم بمظلة حانية تكسر حرارة الشدة وقسوة المحنة.. إنها..

مظلة التفاؤل:

فأووا إلى كهف المتفائلين..

وما أراه اليوم في خضم المحنة ليس سوى فرصة ذهبية وضعها الله بين أيدينا لنزاحم بها أكتاف الشهداء على أبواب الجنة.

هي جولة من جولات الحـق والباطل ولن تكـون الأخيرة، وما نرجوه أن لا تمر كما مر غيرها.. بل نريـد أن نهتبلها لنقدم ساعة النصر، ونقطع نحو الهدف خطوات واسعات، ونرتقي بمن حولنا درجـات عاليات نصبح بها أقـرب إلى قطف ثمار النصر والخروج من بوتقة الذل.

أعلم أنها فترة زمنية عصيبة نعيشها، لكن هـل رأيتم من تعلم في هذه الدنيا دون ألم، أو تربى دون شجن.

أبشروا واستبشروا بما خاطب الله به نبيه:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾

طمأنة من الله لنبيه وورثة نبيه..

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾

تقريب نصر مستبعد وتسلية قلوب مرهقة..

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

لا لمحمد ولا لمخلوق بعد محمد.. بل الأمر لي وحدي..
أنصر من شئت.. متى شئت.. وكيف شئت..

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

أنت أجير وعليك عمل.. إن أديته نلت أجرك كاملا لا يضرك من قصر ممن حولك أو فرط.

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

لا تقل بعد اليوم: افعل ما عليك والباقي على الله،
بل قوم لسانك وقل: افعل ما عليك وكل الأمر لله

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

أما أنتم أهلي في غزة.. يا أساتذتي في مادتي التضحية والفداء..

أبشركم.. ما وصلت القافلة نعم.. لكن وصلنا الأهم.. وهو الدم..

وصل لا إلى شاطئ غزة فحسب بل إلى كل مسلم ليشعل في قلوبنا نار الثأر المقدسة التي لن يخمد لهيبها بإذن الله دون نصر أو شهادة.

وبقى الشرط الأخير لتنـزل النصر والـذي ما تحقق إلى اليوم رغم كثرة الخير في الأمة ووفرة الصالحين فيها، وهو ما يشكل في نظري آخر مسمار في نعش الباطل، ويصنع مفتاح أبوابنا المؤصدة الفاصلة بين عهدين.. عهد الـذل

والانهيار.. وعهد العز والفخار.. ألا وهو بذل..
آخر ذرة جهد!!

ولم نبذلها بعد..

لا زال منا من يبخل بوقته.. يؤثر مصلحته على حساب دعوته..

من يتقطع قلبه كمدا على ما أصابنا لكنه لا يقوى على صلاة فجر.. إطلاق يد بنفقة.. تعليم جاهل.. دعوة غافل.
من أعطى الدنيا ومستقبله الوظيفي وعائلته أكبر مساحة في قلبه، ومن وراء قلبه وقته.

من ادخر جهدا لم يبذله.. استبقى ذهنا لم يتعبه..
ونوما عميقا ما هجره..

من أضاع حق ربه فأضاعنا الله وأضاعه، فرد أخر أمة، وعضو مريض أعيا جسدا بأكمله.

ولذا لم ننتصر..

وأخيرًا..

أخي.. وأنت أختاه..

من أطال المنام لم ير غير الأحلام، فمتى تفتح عين عزمك لتعرف واجباتك بحق؟

متى تسدد ضرباتك نحو العقبة الكؤود التي تعترض طريق نصرنا وعزة أمتنا؟!

أما استنشقت عبير الشهداء ملوك الأسرة سرى عبر البحار في أشرف الأوقات: الأسحار؟

أما وجدت برد نسيم الجنة سبقونا إليه؟

أما آلمك سبقهم وتخلفك.. فوزهم وخسارتك؟

أما تغار أنهم غادروا وخلفوك!! وإلى الفردوس سبقوك؟!

اذكر آخر كلام ومسك الختام.. لا يمحوه من ذاكرتك تعاقب الليالي والأيام:

إنه لا انتصار لأمة ولا انكشاف لغمة ولا نيل من عدو ماكر ولا إغاظة لكافر فاجر، ومن وراء ذلك وهو الأهم: لا رضا لربنا ولا قرة عين لرسولنا إلا بعد أن نبذل.. آخر ذرة جهد!!

وعندها فحسب..

ننتصر!!

غرامة تأخير

Too Late

الوقت الذي مرّ لا يرجع، ومهما حاولت إيقاف عقارب الساعة أو إرجاعها للوراء فستبوء كل محاولاتك بالفشل، وتنكسر سلسلة عزمك لترجع بالخسارة والندم، والأجدر بك أن تتعلم كيف تساير عقارب الزمن وتوجِّهها ناحية أفضل الأعمال وأهم المهام. الوقت .. لماذا؟! واغتنامه .. كيف؟! هذا بعض ما تحاول هذه الرسالة الإجابة عليه.

أولاً

لمــاذا الوقت؟!

لن يُقدِم أحد على اغتنام ثروة لا يعرف أهميتها، ولن يحافظ أحد على كنز لا يدرك قيمته، ولذا كانت هذه الكلمات بعنوان: لماذا الوقت؟!

كثير من الناس لا ينكرون أهمية الوقت لكن أحوالهم تشهد بعكس ذلك، وهذا من الجهل. قال **ابن القيم**: "الجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه، فكلاهما جهل لغة وعرفًا وشرعًا وحقيقة".

ودور هذه الصفحات المباركات أن تنفي هذه الجهالة عنك بنوعيها: العلم والعمل، والمنتظر منك بعد القراءة أن تترجم ذلك واقعًا عمليًا، وأن تبرهن على ذلك باغتنام أوقاتك وازدحام جدول أعمالك.

١- رجوع الماضي مُحال:



كل يوم مضى، وكل ساعة انقضت، وكل لحظة مرَّت، ليس في الإمكان استعادتها، ولا يمكن تعويضها، وهل أمكنك مرة إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، فتملأ لحظة الشر بأعمال الخير.

اسمع وصية **الحسن البصري**: "ما من يوم يمر على ابن آدم إلا وهو يقول: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدِّم ما شئت تجده بين يديك، وأخِّر ما شئت فلن يعود إليك أبدًا".

وللوقت سمات ليست في غيره تشعرك بغلو ثمنه وعلو قدره، ذلك:

✿ أن الوقت غير قابل للتخزين والحفظ، فاللحظة التي لا تُستغلُّ تفنى، ولا ترجع إلى يوم القيامة.

✿ الوقت غير قابل للاستبدال بغيره أو تعويضه بما هو أغلى منه.

✿ الوقت مادة الحياة، وهل الحياة إلا أعوام وأشهر مكونة من أيام وساعات؟!

✿ الوقت ليس له وزن وليس محسوسًا ملموسًا، فأنت لا تستطيع أن تمسك وقتك بين يديك مع أنه وعاء كل الأعمال.

✿ لا يملك أحد تسريع الوقت أو إبطاءه أو إيقافه.

٢- جلسة الحساب:

ليت الوقت إذا مضى لا يخلِّف آثارًا ولا تبعات، ولكن الإنسان يُسأل عنه في ساحات القيامة ويوم العرض الأكبر، حين يقف الإنسان أمام ربه في ذلك اليوم العصيب فيسأله عن وقته وعمره، كيف قضاه؟ وأين أنفقه؟ وفيم استغله؟ وبأي شيء ملأه؟

يقول ﷺ: «**لن تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟**». صحيح



وصدق الشاعر:

اليوم نفعلُ ما نشاء ونشتهي وغدًا نموت وتُرفع الأقلام

من منا يصرخ باكيًا يوم القيامة:

يا خجلتي من وقفتي .. وسؤاله عن زلتي ..
يا حسرتي يا حسرتي .. خُنتُ العهود وما حفظتُ أمانتي.

٣- النعمة الخفية:

مع أنه ليس عملة يتداولها الناس في الأسواق اليوم، لكن الوقت يشكِّل أعظم ثروة خفية، لو رآها الناس وعلموا قدرها لتقاتلوا عليها.

المعنى السابق سبق وأن أشار النبي ﷺ إليه حين أكَّد أن الوقت من أجَلِّ النعم التي أنعم الله بها على عباده، ومع ذلك يغفل الناس عنها، فعن ابن

عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ**».

ومعنى قوله ﷺ : «**كثيرٌ من الناس**»: أي أن الذي يعرف قيمة الوقت عدد قليل، فقد يتمتع الإنسان بالصحة ولا يكون متفرِّغًا لانشغاله بلقمة العيش، وقد يتمتع بالفراغ ولا يكون صحيحًا بأن يكون قد كبر سنه وعانى الشيخوخة، فإذا اجتمعت هاتان النعمتان، ومع ذلك غلب على العبد كسله عن الطاعات فهو المغبون، والغبن أن يشتري الإنسان سلعة بأضعاف ثمنها، أو أن يبيع سلعة بأقل من ثمنها.

ضرب النبي ﷺ مثلاً للإنسان المُكلّف حين شبَّهه بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي التربح منه مع سلامة رأس ماله، وفي سبيل هذا يتحرَّى الأمانة في من يعامله، ويلزم الحرص الشديد لئلا يُغبن فيخسر، وإسقاط هذا المثل على الواقع: أن الدنيا مزرعة الآخرة، والصحة والفراغ فيها رأس مال، لكن لا يظهر ربحهما إلا في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو الرابح غدا، ومن استعملهما في معصيته فهو المغبون الخاسر اليوم وغداً، مع ملاحظة أن هاتين النعمتين سريعتا الزوال: لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها المرض.

فمن ملك الصحة والفراغ ولم يسعَ لاستثمارهما في إصلاح آخرته ودنياه، فهو التعيس حقًا، نعوذ بالله أن نُغبن في تعاملنا مع نعم الله علينا، وأن نجهل قدر إحسانه إلينا.

نَفَسا نَفَسا

العنوان السابق هو اختصار العبارة التالية:

"احصُر نِعَم الله عليك نفسا نفسا".

قال **أبو حامد الغزالي**:

"اعلم أن فى كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين، إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك الإنسان، وبانقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سد متنفسه لمات بانقطاع الهواء عنه وهلك، بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة، وفى كل ساعة قريب من ألف نَفَس، وكل نفس قريب من عشر لحظات، فعليك فى كل لحظة ألف ألف نعمة فى كل جزء من أجزاء بدنك، بل فى كل جزء من أجزاء العالم".

٤- البناء وإلا الهدم:

كان **عمر** رضي الله عنه يقول:

"أحذِّركم عاقبة الفراغ، فإنه أجمع لأبواب المكروه من السُّكر".

وعلى أساس اغتنام الأوقات وضع الفاروق الميزان الذي يحب على أساسه الناس أو يكرههم، فقال رضي الله عنه: "إني أكره الرجل، أن أراه يمشي سبهللا: لا في أمر دنيا، ولا في أمر آخرة".

وكانت سيرته نموذجًا عمليًا لهذا، فشغل الأمة كلها بصالح الأعمال والفتوحات وبناء الحضارة الرائعة والمجد الأصيل، حتى ملأ وقت الشباب، وشغل الشيوخ قبل الشباب، فقد مرَّ **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يومًا **بخزيمة بن ثابت** فقال له: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له: أنا شيخ كبير أموت غدًا، فقال له **عمر** رضي الله عنه: أعزم عليك لتغرسنَّها، فقال ابنه عمارة: فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي.

ولذا قال أحد الصالحين: اعلم أن الفراغ من شأن الأموات، والاشتغال من شأن الأحياء، فإن قدرت أن ألا تكون إلا حيا فافعل، وأوصاك حكيم: لا تفرِّغ قلبك من ذكر، ولا ولدك من شغل، فالقلب الفارغ يبحث عن السوء، واليد الفارغة تسرع إلى الإثم.

وطالما ظللت فارغًا ظل الشيطان فيك طامعًا.
فمن الفراغ تنشأ الشهوة. ومن الشهوة يأتي الحرام.

لقد هاج الفراغ عليك شُغلاً ... وأسبـاب البلاء من الفـراغ

ولذا لا تُعلَّق الآمال إلا على من توالت عليه الأشغال، وصدق القائل:

افـرغ لحـاجتنـا ما دُمت مشغـولا ... لو قد فرغت لما أصبحت مأمولا

ونابليون نطق بما نطق به العرب بعد مئات السنين لأن لسان الجد واحد وروح العزم ثابتة لا تعرف لغة أو دينا، فقال: إذا أردت أن تنجز مهمة فأعطها إلى رجل مشغول!!

أما وقتٌ خراب وجسد في المحراب!! فكيف يلتقيان!!

> **أخي ..**
>
> الوقت سفينة مركوبة: بحرها الدنيا ووجهتها القبر!!
> فماذا ملأتها؟!

وما المرء إلا راكبٌ ظهـر عُمـره ... على سفـر يُفنيـه باليوم والشَّهر

يبيتُ ويُضحـي كل يـومٍ وليـلـة ... بعيداً عن الدُّنيا قريبًا إلى القبر



٥- أغلى كنـز:

كثير من الناس إذا سألته: أيهما تحب أن تدخر: المـال أو الوقت ؟! أجاب في سرعة: الوقت، مع أنك أن تعلم كيف تنفق وقتك أهم بكثير من معـرفة كيف تنفق مالك؟! لأن أخطاء الأموال تُستدرك أما أخطاء الأوقات فقاتلة.

وهو ما نطق به سيد من سادة الوعاظ **يحيى بن معاذ** قبل أن ينطق بذلك خبراء الإدارة اليوم فقال:

"عجبتُ ممن يحزن على نقصان ماله، كيف لا يحزن على نقصان عمره!!".

أخي ..

أوقات فراغك قطع من الماس الخام تستطيع أن تجعل منهـا أغلى شيء في الوجود، وتستطيع أن تدوسها حجراً من الأحجار، ولك الخيار.

يقول جون ماكسويل في كتابه "TODAY MATTERS":

- إذا أردت أن تعرف قيمة سنة اسأل طالبًا رسب في الامتحان النهائي.
- إذا أردت أن تعرف قيمة شهر اسأل أمًا أجهضت في الشهر الأخير.
- إذا أردت أن تعرف قيمة أسبوع اسأل محررًا صحفيًا في جريدة أسبوعية.
- إذا أردت أن تعرف قيمة يوم اسأل عامل يومية يعول ٦ أطفال.
- إذا أردت أن تعرف قيمة ساعة اسأل عاشقين ينتظران اللقاء.
- إذا أردت أن تعرف قيمة دقيقة اسأل مسافرًا فاتته الطائرة.
- إذا أردت أن تعرف قيمة ثانية اسأل شخصًا نجا للتو من حادث.
- إذا أردت أن تعرف قيمة جزء من الثانية اسأل الفائز بالميداية الفضية في سباق ١٠٠ متر عدو.

٦- جريمة قتل يومية!!

ولكنَّ الوقت الآن وللأسف صار عبئًا على كثير من الناس، وصار كثير منهم يقول: تعال لنقتل الوقت إلى غير ذلك من الكلمات التي تدل على غفلة هؤلاء المساكين وشدة بعدهم عن الله، وصدق من قال: من علامة المقت إضاعة الوقت..

يا عــاق!!

وهو ما أطلق عليه البعض عقوق الأيام كما نُقل عن بعض العلماء قوله: "من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه أو فرضٍ أدَّاه أو مجد شيَّده أو حمد حصَّله أو خير أسَّسه أو علم اقتبسه فقد عقَّ يومه وظلم نفسه".

كيف تقتل أوقاتك؟!

- شاهد القنوات الفضائية وأدمنها.
- أكثر النوم واجعل بين كل نومين فترة راحة!!



✿ أعرض عن القراءة الجادة إلى قراءة الجرائد والمجلات غير الهادفة.

✿ أدمن الثرثرة بالهاتف أو الشات لغير فائدة.

✿ أكثر من الأسفار ورحلات الترفيه البريء وغير البريء.

بعد فوات الأوان!!

بعد فوات الأوان ... تُريد بر أبيك وأمك وقد فارقا الحياة.



بعد فوات الأوان ... تريد أن تختم سورة الكهف يوم الجمعة ولم يتبق على أذان المغرب سوى خمس دقائق.

بعد فوات الأوان ... تريد أن تصلي الفجر والشمس توشك أن تُشرق.

بعد فوات الأوان ... تريد أن تدرك موعدًا بينك وبينه ٢٠ كم.

بعد فوات الأوان ... تذاكر والامتحان بعد ساعة.

وأخيرًا .. **وبعد فوات الأوان**... نريد أن نتوب وقد بلغت الروح الحلقوم وداهمتنا الغرغرة وزارنا ملك الموت!

وصية من مُوفّق

وفي وصية للإمام **المُوفَّق ابن قدامة**:

"اغتنم حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نفس ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه يسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها ولا خُلف منها، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم، أو العذاب الأليم، وإذا قست هذه الحياة الزائلة بخلود الأبد علمت أن كل نفس منها يعدل أكثر من

ألف ألف ألف عـام في نعيم لا قـدر لـه، وما كان هكذا فلا قيمة له، فلا تضيِّع جواهر عـمـرك النفيسـة بغيـر عمل، ولا تُذهبها بغيـر عوض، واجتهد أن لا يخلو نفس من أنفـاسك إلا في عمل طـاعة أو قربة، فإنك لو كـان معك جوهرة من جواهر الدنيـا لساءك ضياعها، فكيف تضيِّع ساعاتك وأوقاتك؟! وكيف لا تحزن على عمرك الضائع بغير عوض؟ " .

ثانياً

حوافز الانطلاق

١- قلِّد نبيك:

عن **عائشة** رضي الله عنها تخبر عن وقت رسول الله ﷺ قالت: "ولا رُئي قط فارغًا في بيته، إما يخصف نعلا لرجل مسكين، أو يخيط ثوبا لأرملة".

لم يترك فراغًا قط في حياته، مع أنه حاكم الدولة وقائد الجيوش والداعية الأول والعابد الأروع إلا أن ذلك لا ينسيه الأرملة والمسكين ولا يُسقطهما من جدول أولوياته، ولا يترك فراغا يستريح فيه من هَمِّ الدعوة وأعباء الرسالة ومسئوليته نحو الأمة.

٢- الغيرة ممن حضر:

انظر في من حولك من الناجحين والنجوم اللامعين، كيف كافحوا وواصلوا الليل والنهار، وأفنوا أعمارهم وزهرة شبابهم لنيل ما ينشدون، فوصلوا، ولن تدرك ما أدركوا إلا إذا مشيت في نفس الطريق.

٣- والغيرة ممن غاب:

وإن غاب عن بصرك قدوات اغتنام الأوقات واقتناص اللحظات، فلك في من مضى عبرة، هؤلاء الذين وصفهم **الحسن البصري** بقوله: أدركتُ أقواماً كان أحدهم أشحَّ منه بعمره على درهمه.

✿ لم يكن **لعمر بن الخطاب** رضي الله عنه وقت ينام فيه، فكان ينعس وهو قاعد، فقيل له: يا أمير المؤمنين!! ألا تنام؟! فقال: كيف أنام؟! إن نمتُ بالنهار ضيَّعتُ أمور المسلمين، وإن نمتُ بالليل ضيَّعت حظي من الله عز وجل.

✿ كان المفسِّر **جمال الدين القاسمي** مارّاً بشباب يلهون ويضيِّعون أوقاتهم بالحرام، فقال: لو أنَّ الوقت يباع ويشترى لاشتريت منهم أوقاتهم، ولذا رغم أنه عاش قرابة خمسين عامًا إلا أنه ألف فيها ما يزيد عن خمسين مؤلفًا.

✿ ومن تلك النماذج الرائعة: الإمام الفقيه المؤرِّخ المحدِّث المفسِّر: **أبو جعفر محمد بن جرير الطبري**، الذي قال عن نفسه: "حفظتُ القرآن ولي سبع سنين، وصليتُ بالناس وأنا ابن ثمان سنين، وكتبتُ الحديث وأنا في التاسعة".

ومما يدل على علو همته وقوة تحصيله ما أخبر به عن نفسه قال: جاءني يومًا رجل فسألني عن شيء في علم العروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: إذا كان غدًا فتعال إليَّ، وطلب كتاب العروض للخليل بن أحمد، فجاءوا له به فاستوعبه وأحاط بقواعده كلها في ليلة واحدة، يقول: "فأمسيت غير عروضي، وأصبحت عروضيًا !!".

✿ ودخل أبو العباس بن عطاء على الإمام **الجنيد** وقت احتضاره فسلَّم عليه، فلم يجبه، ثم أجاب بعد ساعة وقال: اعذرني فإني كنت في وِردي!! ثم ولّى وجهه نحو القبلة وكبّر ثم مات.

✿ كان **الفتح بن خاقان** وزير الخليفة المتوكِّل يحمل الكتب في كُمِّه، فإذا قام من بين يدي المتوكل للخلاء أو للصلاة، أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي، حتى يبلغ الموضع الذي يريده، ثم يفعل مثل ذلك في رجوعه، إلى أن يأخذ مجلسه بين يدي المتوكِّل، فإذا أراد المتوكِّل القيام لحاجة أخرج الفتح الكتاب من كمه، وقرأه إلى أن يعود الخليفة.

هؤلاء قومْ ذاقوا حلاوة البخل!! البخل بالوقت، فقد ربط الله الفوز بالجنان بما أسلف الإنسان في أيامه الخالية في دنياه

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ (الحاقة: ٢٤)

٤ـ الواجبات أكثر:

لا شك أن واجبات المرء تجاه نفسه وزوجه وولده وأقاربه وجيرانه وأمته تستغرق أوقاتًا أكثر مما تسمح به ساعات اليوم، فإذا أضيف إلى ذلك طبيعة الحياة المادية اليوم التي تستلزم قضـــاء الســـاعات الطويلة في السعي على الرزق ضاقت الأوقات أكثر وأكثر مما جعل ثمنها أغلى وأثمن.

دخل بعض إخوة **عمر بن عبد العزيز** عليه وقد أعيته أعباء الخلافة ومصالح الأمة، فقالوا له: هوِّن على نفسك، فقال لهم: فمن يعمل عني عمل هذا اليوم؟! قالوا: تعمله في غد، فقال: لقد أعياني عمل يوم واحد فكيف إذا اجتمع عليَّ عمل يومين؟!

اسمع كلام الأموات؟!

ومن وعظنا بعد موته ونال أجر الإرشاد إلى الخيـر بعدما بليت عظامه: المحـدِّث الرحَّال **أبو محمد جعفر بن محمد العباسي** المتوفى سنة ٥٩٨ هجرية، فقد أوصى أن يُكتب على قبره بعد موته:

"حوائج لم تُقضَ، وآمال لم تُنل، وأنفس ماتت بحسراتها".

٥ـ قرب الرحيل:

حين يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة: يتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، ليُصلح ما أفسد، ويتدارك ما فات، ولكن هيهات هيهات، فقد انتهى زمن الإمهال وجاء وقت السؤال، وذهبت السكرة وجاءت الصحوة، وكلما عاش العبد هذه المشاعر قصر أمله، وكان أحرص على اغتنام أوقاته، ولذا أوصاك الشاعر:

اغتنم في الفـراغ فضل ركـوع ... فعسى أن يكـون مـوتـك بغتـه

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبـت نفسه العـزيـزة فلتـه

أخي .. ما انقضت ساعة من يومك إلا بقطعة من عمرك ونصيب من جسمك.

رأيتك في النقصان مُذ أنت في المهد تقرِّبك الساعات من ساعة اللحد

وأمر لا تدري متى تلقاه.. أليس من الفطنة والذكاء الاستعداد له قبل أن يفجأك؟!

جلس **عمر بن عبد العزيز** يوماً للناس، فلما انتصف النهار ضجر وكلَّ وملَّ، فقال للناس: مكانكم حتى أنصرف إليكم، فدخل ليستريح ساعة، فجاء ابنه **عبدالملك** فسأل عنه فقالوا دخل، فاستأذن عليه، فأذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين!! ما أدخلك؟ قال: أردت أن أستريح ساعة. قال: أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم؟! فقام عمر من ساعته وخرج إلى الناس!!

الشيء وظله

هناك ارتباط شرطي وتناسب طردي بين طول الأمل وسوء العمل، لاحظه صحابي جليل من تربَّى في مدرسة النبوة، وهو **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه فقال: "ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل".

فإذا رأيت مقصِّراً في عمله مفرطاً في حق ربه، فاستدل بذلك على أن ذكر الموت في قلبه مضمحل، ويبلغ التفريط أعلاه حين يصل منسوب قصر الآمل إلى صفر.



أرجع فيها إلى الدنيا.. أسجد لك سجدة.. أركع فيها ركعة.. أذرِف الدمع على ما بدر مني من ذنب.. أطلب منك العفو.. أقبِّل قدم أمٍّ عققتها.. أو يد أب عصيته.. أفعل فيها الخير.. أنصر فيها الحق..

يا رب.. لحظة.. من ملايين اللحظات التي طالما أضعتها في دنياي طاعة لشهوتي واتباعاً لهواي وخضوعاً للشيطان..

كم من ميت هذه أمنيته.. يتمناها وهو في النيران يتلوى.. وفي الحميم يغلي.. وأنت والله لازلت إلى الآن في المهلة يا محظوظ، فمتى تصحو!!

أخي..

أنت الآن في أمنية ناس كثيرين..

فكم من الموتى يتمنى حياة ساعة ولا يجدون!! وأنت غارق في الساعات بل والأشهر والأعوام!! فمتى الإفاقة؟!!

هل فهمت الآن معنى قول ربك:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (سبأ : ٥٤)

أخي..

لا تنس من يعُدُّ الأنفاس إلى لقائك:

ما هي إلا ليلة ثم يومها   ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر

مطايا يقرِّبن الجديد إلى البِلى   ويُدنين أشلاء الصحيح إلى القبر

ويتركن أزواج الغيور لغيره   ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر

ثالثاً

مربع الوقت



مربع عجيب له أربعة أضلاع، مهمته أن يحاصر وقتك فيمنعه من الضياع والهرب من بين يديك، والأضلاع الأربعة هي: الإيماني، والمهاري، والاجتماعي، والترفيهي، وذلك أن الحياة تتكون من هذه المناطق الأربعة الحيوية، وسيأتي بيانها بالتفصيل.

لكن السؤال: ما هي فوائد الأضلاع الأربعة:

• التنويع:

إن النفس بطبيعتها سريعة الملل، وتنفر من الشيء المكرَّر، ولذا كان التنويع ضمان الاستمرار وعدم الانقطاع وأفضل استغلال للأوقات.

• التوازن:

قليل من الناس نجح في تحقيق التوازن بين أنشطة الحياة المختلفة، فتجد الشاب متفوِّقًا في دراسته مقصِّرًا في عبادته أو علاقاته الاجتماعية، أو تراه مرفِّهًا عن نفسه بكافة الصور فاشلاً في دراسته، وهو ما أسميه أنا (صاحب الضلع الناقص)!! أما الشخصية التي تعرف كل واجباتها وتؤديها فهي أنجح الشخصيات وأكملها.



وليس معنى التوازن التساوي لاختلاف متطلبات المرء في مراحل عمره المختلفة، فالطالب قبل الامتحان يصرف أكثر وقته في المذاكرة، وحديث التخرج يقضي جزءًا كبيرًا من يومه في اكتساب مهارات العمل وبناء أساس تفوقه..

لكن ذلك لا يعني إهمال الأضلاع الأخرى، فلا تضييع لصلاة أو تقصير في فرض تحت ذريعة (تكوين نفسك) لأن قلبك في هذه الحالة سيصاب بحالة ضمور ثم يموت، وإحياء القلب بعد موته من أصعب ما يكون، فأعط كل ذي حق حقه.

• الإحساس بالإنجاز:

اجعل وحدة القياس الزمنية هي الأسبوع، وهذا يعني ضرورة الاهتمام بهذه المناطق الأربعة أسبوعيًا، بحيث تؤدي كل أسبوع عملاً مميزًا يُحفر في ذاكرتك ومن ثم يبرز في صحيفتك، وأهمية هذا العمل أنه يشعرك بالنجاح الأسبوعي، والمرء مفطور على حب الشعور بالإنجاز وتحقيق الأهداف، مما يورث قلبك السعادة الغامرة الحماسة الدافعة لك نحو بذل أكبر وانتفاع بالوقت أعظم.

ولك بشارة ووعد إلهي إن اغتنمت أوقاتك وربحت ساعاتك.. قال عز وجل:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ (محمد: ١٧)

والزيادة: الاستمرار، والزيادة: التلذذ، والزيادة: التأثير في من حولك، والزيادة: الارتقاء يومًا بعد يوم.

الضلع الأول: الإيماني

ويشمل ملأ الوقت في قراءة آية، ومذاكرة حديث، واستغفار، وتسبيح، وتهليل، وصلاة، ودعوة، وقراءة، وتعليم وتعلم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وحينها ترتفع معنوياتنا وتسمو هممنا لأننا حينها ننال حب الله «**ولا يزال عبدي يتقرب على بالنوافل حتى أحبه**» وما ظنك في فعل الله بعبده الذي يحبه؟!.

ولهذا الفضل العظيم تندَّم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا على صفقة

تجـارية أو مكسب دنيوي زائل بل كما قال: ما ندمتُ على شيء ندمي على يوم غربتْ شمسه ولم يزدد فيه عملي.

وتعود الـسـاعة هي وحـدة القياس لمعدل الإنجاز الإيماني، فكل ساعة ليس فيها طاعة سـاعة ضائعة، وكل ساعة طاعاتية ساعة رائعة كما في حسـابات **سليمان التيمي** الذي قيـل عنه: " لم تمر ساعة قط إلا تصدق بشيء فإن لم يكن شيء صلى ركعتين ثم قرأ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا ﴾ (المؤمنون : ٥١)

لكن لابد أول أن نشير إلى أن الوقاية أهم!! لأن..

دفع الخسائر مُقدَّم على جلب الأرباح

وقتك رأس مالك، وإذا كان هدف هذه الرسالة زيادة ربحك، فإنه من الضروري أن لا تتحول أرباحك إلى خسائر، وأن لا تزول النعم لتتحوَّل نقماً، وهذا يحدث إذا مُلئت الأوقات بالحرام والوقوع في المعاصي كسماع الأغاني المحرمة، ومشاهدة الفضائيات المثيرة والكليبات العارية، وقضاء الوقت في مشي إلى حرام ومعايشة صحبة سوء.

ولقد صدق **أبو سليمان الداراني** حيث قال: لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره إلا على تفويت ما مضى منه فى غير الطاعة لكان خليقًا أن يُحزِنه ذلك إلى الممات، فكيف بمن يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله؟!



والآن إلى جدول الأوقات الإيماني:

١. السنن الرواتب: وهي اثنتا عشرة ركعة في اليوم والليلة، فمن حافظ عليها بنى الله له بيتًا في الجنة كما في الحديث.

٢. قراءة القرآن: وتعلم الالتزام بقراءة نصيب من القران الكريم، إما أربع،

أو ست، أو عشر صفحات، ولا تتركه مهما كانت مشاغلك، وتحرص على أن تزيده كل شهر صفحة بحيث يصل إلى قراءة جزء كامل يوميًا في وقت لا يتجاوز وقت ثلث مباراة كرة قدم أو ربع فيلم سهرة!!

٣. حفظ القرآن: ومن بعد القراءة الحفظ لكي يُقال لك كما ورد في الصحيح إذا دخلت الجنة: اقرأ وارتقِ فيقرأ ويصعد لكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه، فما آخر ما حفظتَ من كتاب الله؟!

ألا تحب أن تحوز في الجنة أعلى الملك وألذ الخلد، واسمع يا من ضيَّع وقته فداس بأقدامه أغلى كنز قول النبي ﷺ: «**يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني؟! أنا الذي كنت أُسهِر ليلك وأظمئ هواجرك، و إن كل تاجر من وراء تجارته، و أنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيُعطى المُلك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضعُ على رأسه تاج الوقار**». صحيح

إنها بركة القرآن تتحول من طاقة صوتية بالليل إلى طاقة من نوع آخر بالنهار، تدفعك إلى تحمل مشقة الصوم في يوم شديد الحر، لكن .. لماذا يأتي القرآن شاحبًا؟!

وكأن القرآن تمثل بصورة قارئه الذي ملأ القرآن جنبات أوقاته وساعات حياته، فأتعب نفسه بالسهر في الليل والصوم في النهار فصار كالرجل الشاحب.

كل ما سبق ترغيب، والآن حان موعد الترهيب:

قال النبي ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»، بل وفاخر النبي ﷺ بنفر من شباب الصحابة ينتظرونكم لتلحقوا بهم يا شباب فقال: «**خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة**». صحيح

وثلاثة من هؤلاء الأربعة شباب: معاذ، وابن مسعود، وسالم رضي الله عن الصحابة أجمعين.

أقبلوا على كتاب الله آنـاء الليل وأطراف النهار وبيِّضوا به صحائفكم وعطِّروا أوقاتكم. كان **ابن عراق الدمشقي** يأمر أصحابه بحفظ القرآن، وينشدهم كل ليلة بعد صلاة العشاء وعقب قراءة سورة المُلك مرغّبًا ومشوّقًا:

كـلامٌ قـديم لا يُمـلُّ سمـاعـه ... تنـزّه عن قلبـي وفعلي ونيتـي
بـه أشتفـي من كـل داء وإنـه ... دليلٌ لعلمي عند جهلي وحيرتي
فيـا ربُّ متِّعني بحفظ حـروفـه ... ونـور بـه قلبي وسمعي ومقلتي

٤. صلاة الوتر ولو ركعة واحدة.

٥. صلاة الضحى: حل بـديل عن صـدقة يوميـة واجبـة عن كل سـلامى (مفصل) من جسدك، وعددها ٣٦٠ مفصل، ويُجزئ كل هذه الصدقات: صلاة ركعتين خفيفتين أول النهار، فما أعظم هذا الكنز وما أكثر الغافلين عنه!!

٦. صيام الأيام الفاضلة كست من شـوال، وعاشـوراء، وعرفـة، ويـومي الاثنيـن والخميـس مـن كـل أسبوع.

٧. الصدقة المتكرِّرة: كان **طلق بن حبيب** لا يخرج إلى صـلاة إلا ومعه شيء يتصدق به وإن لم يجد إلا بصلاً ويقول: قال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾
(المجادلة: ١٢)

فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم.

٨. حج وعمرة كل يوم: لقول النبي ﷺ:

«من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة و عمرة تامة تامة تامة». صحيح

٩. الدعوة إلى الله: وهي مهمة الرسل ورسالة الأنبياء، وقد أمر الله نبيه

أن يصدع بقوله ويفاخر:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (يوسف: ١٠٨)

فهل اتبعت النبي فدعوت إلى الله كما دعا أم قصَّرت وتكاسلت فاتبعت غيره وعنه تعاميت؟!

إن الدعوة إلى الله من أهم وسائل زيادة الحسنات والطريقة العبقرية لتثقيل الميزان وتبييض الصفحات، ويستمر العرض ساريًا حتى بعد الممات، وقد أعلن النبي ﷺ عن هذا الكنز العظيم في قوله:

«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النَّعَم»

فاحرصوا يا شباب على أن يكون لكم أي دور دعوي إما عن طريق إلقاء المحاضرات والدروس، أو الدعوة إليها، أو توزيع الكتيبات والأشرطة، أو إرسال بريد إلكتروني، أو التحدث مع الأهل والأقارب والجيران، واعلموا أن من أنفق من وقته لغيره بارك الله له في وقته، فأنجز في أيام ما ينجزه البخلاء المُمسكين في أشهر وأعوام.

١٠. **حضور دروس العلم في المساجد**: هل تصدِّق أن حضورك درس علم في مسجد يجعلك تنال ثواب حجة كاملة؟ الدليل: قال ﷺ: **«من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلِّمه كان له كأجر حاج تاما حجته»**. صحيح

الضلع الثاني: المهاري



يا شباب.. عليكم بهذه المهارات.. لا غنى لكم عنها.. لكي تنفتح لكن أبواب العمل وآفاق التميز.. إنها الاستثمار الرابح تستطيع أن تحصِّلها وأنت لا زلت بعد طالبًا، وكلما بدأت مبكِّرًا كلما كان مستقبلك المهني زاهرًا، ومن هذه المهارات:

✿ فن الاتصال.

✿ فن التعرف على أنماط الشخصية.

✿ فن إدارة الوقت.

✿ فن التفاوض.

✿ فن القراءة السريعة.

✿ فن كتابة التقارير والسيرة الذاتية.

✿ فن مهارات التقديم.

✿ اللغة الأجنبية كتابةً وقراءةً ونطقًا.

وهذه المهارات أصبحت من أبجديات احتياجات سوق العمل اليوم، وإليكم مهارة واحدة وكيف برع فيها الصحابة، واقتدوا **بزيد بن ثابت** رضي الله عنه الذي قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود. قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي. قال: فما مرَّ بي نصف شهر حتى تعلمته له. قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم.

فماذا تعلمت من لغات اليوم ؟! وما براعتك فيها ؟! وكم مضى عليك من الوقت في تعلمها؟!

إخواني الشباب.. لماذا لا نملأ الوقت بما يرفع قدرنا عند لله ويزيدنا كرامة عند الناس، أرباح دنيا وآخرة.



إننا اليوم في حاجة إلى الطبيب المسلم المحترف، والصيدلي المسلم المحترف، والمهندس المسلم المحترف.. في كل ميدان نحتاج إلى علماء يدعون إلى الله بسلوكهم واتقانهم لعملهم، ولن يتمكنوا من التفوق في هذه المجالات إلا إذا سخروا أوقاتهم لبلوغ هذا الهدف العظيم، فلماذا لا تسد فراغات وقتك ومسافات الزمان باكتساب هذه المهارات؟!

الضلع الثالث: الاجتماعي

واسمعوا:

✿ حق كل مسلم:

قال ﷺ: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**». متفق عليه

وفي رواية: « **خمس تجب للمسلم على أخيه** ».

قال ابن العربي:

"عليك في رعاية هذه الحقوق وغيرها أن تسوِّي بين المسلمين كما سوَّى في الإسلام بينهم في أعيانهم، ولا تقل هذا ذو سلطان وجاه ومال وهذا فقير وحقير، ولا تحقر صغيراً، واجعل الإسلام كله كالشخص الواحد والمسلمين كالأعضاء لذلك الشخص، فإن الإسلام لا وجود له إلا بالمسلمين، كما أن الإنسان لا وجود له إلا بأعضائه".

وباب آخر:

✿ صلة الأرحام:

قال ﷺ: «**صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن في الأعمار**». صحيح



والحديث وثيق الصلة بالوقت، لأنه يتحدث عن زيادة العمر، والزيادة في الحديث لها معنيان:

- **أحدهما:** أن الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وما ينفع في الآخرة.
- **ثانيهما:** أن الزيادة على حقيقتها، كأن يقال للملك الموكل بك مثلا: إن عمر فلان مائة عام مثلاً إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل

أو يقطع.

وكانت وصايا النبي ﷺ العملية دافعة في اتجاه صلة الأرحام، فعن أم المؤمنين ميمونة قالت: كانت لي جارية فأعتقتُها، فدخل علي النبي ﷺ فأخبرتُه، فقال: «**آجرك الله.. أما إنك لو كنتِ أعطيتها أخوالك كان أعظَم لأجرِك**». صحيح

ومن هنا تعلَّم **عطاء بن أبي رباح** الدرس فقال: لدرهم أضعه في قرابتي أحب إلي من ألف أضعها في فاقة. فقال له قائل: يا أبا محمد! وإن كان قرابتي مثلي في الغنى؟ قال: وإن كانوا أغنى منك!

وفي المقابل جاء الوعيد لمن منع خيره عن أقاربه. قال رسول الله ﷺ : «**أيما رجل أتاه ابنُ عمه يسألُه من فضله، فمنعه منعه اللهُ فضله يوم القيامة**». رواه الطبراني، وقال الألباني: حسن لغيره.

وقال رسول الله ﷺ :

« **ما من ذي رحمٍ يأتِي ذا رحِمه فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه، فيبخلُ عليه إلا أخرجَ اللهُ له من جهنم حيةً يقالُ لها: شجاع: يتلمّظُ فيُطوَّقُ به** ». حسن صحيح

✿ كفالة اليتيم :

هل أنت كافل يتيم ؟!

قال ﷺ : «**أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ؟! ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك**». صحيح

وبشَّرك النبي ﷺ بأنك وكافل اليتيم في قصر مجاور له في الجنة بل أقرب من ذلك بكثير: في المقعد المجاور له مباشرة، فقال: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى وفرق بينهما**». صحيح

فهلا اشتريت جوار النبي ﷺ وهو أغلى جوار أم كنت فيه من الزاهدين؟!

✿ مساعدة الضعفاء :

إن كنت تتعلَّل بضيق الوقت وكثرة الأعباء، فاسمع فعل خليفتين:

- كان **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه يحلب لأهل الحي أغنامهم، فلما تولى الخلافة قالت جارية منهم: الآن لا يحلبها، فقال أبو بكر: بل وإني لأرجو أن لا يُغيِّرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله.

- كان **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يتعاهد الأرامل يستقي لهن الماء بالليل، ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة، فدخل إليها طلحة نهارًا فإذا هي عجوز عمياء مقعدة، فسألها ما يصنع هذا الرجل عندك. قالت: هذا مذ كذا وكذا يتعاهدني يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، فلما علم عمر بذلك قال: ثكلتك أمك يا طلحة!! أعورات عمر تتبع؟!

✿ زيارة الإخوان :

قضاء وقت مع من تحب وتأنس بوجوده من أخ لك في الله يدخلك الجنة لقول النبي ﷺ: « **والرجل يزور أخاه في ناحية المصر في الله في الجنة** ». حسن

الضلع الرابع: الترويحي



لا يقدر كثيرون أهمية الترويح، وينظرون إليه على أنه مضيعة للوقت مفسدة للعمر، مع أنه جزء مهم من حياة المرء وعبوديته لله، وذلك إذا استحضرت فيه النوايا وروعيت ضوابط الشرع، وقد دلَّت النصوص الشرعية على جوازه، بل منها ما دعا إليه وحثَّ عليه، وسأعرض هنا لجانب هام من جوانب الترويح يخص الشباب وهو الجانب الرياضي، فقد قال ﷺ: «**لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر**». صحيح

والمقصود بالنصل هنا: رياضة الرمي بالسهام، وبالخف رياضة الجري، وبالحافر رياضة سباق الخيل، وإليكم أربع نماذج للرياضات التي كانت على

عهد الصحابة وحث عليها النبي ﷺ :

■ **الرمي:** ماذا أسميها؟! عبادة الرمي أم رياضة الرمي؟! لا فارق ما حضرت النية.

مرَّ النبي ﷺ على قوم يتناضلون -أي يتسابقون في الرمي بالسهام- لإصابة هدف، فشجَّعهم قائلاً: ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا، ارموا وأنا مع بني فلان، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم أي تركوا الرمي وامتنعوا عنه، فقال رسول الله ﷺ: « **ما لكم لا ترمون؟!** » قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ: « **ارموا وأنا معكم كلكم** ». صحيح

في هذا الحديث تمتزج الرياضة بالأخلاق السامية، حيث أدب الصحابة مع النبي ﷺ حين أمسكوا عن الرمي لكون الرسول ﷺ مع الفريق الآخر خشية أن يغلبوهم، فيكون النبي ﷺ مع من غُلب.

■ **العدو:** كان النبي ﷺ يسابق **عائشة** فسبقها مرة، وسابقته مرة ثانية فسبقته، فقال لها: هذه بتلك، ومن ذلك أن الأنصار كانوا يستأذنون النبي ﷺ في المسابقة فيما بينهم، وأذن لهم كما جاء في حديث **سلمة بن الأكوع** في قصة رجوعهم من غزوة من الغزوات أنه قال:

"... وكان رجل من الأنصار لا يُسبق ، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تُكرِم كريمًا ولا تهابُ شريفًا؟! قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ. قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ذرني فلأسابق الرجل، قال: إن شئت. قال: قلت: اذهب إليك، وثنيتُ برجلي فطفرتُ فعدوت... فسبقته إلى المدينة".

■ **المصارعة:** صارع النبي ﷺ ركانة المشرك ثلاث مرات، كل مرة على مائة من الغنم، فصرعه فلما كان في الثالثة قال: يا محمد.. ما وضع ظهري الى الارض أحد قبلك، فأسلم وردَّ عليه النبي ﷺ غنمه.

بل وأجرى النبي ﷺ مسابقة مصارعة حرة في بدر بين الغلامين **سمرة**

بن جندب ورافع بن خديج فصرع سمرة رافعًا فأجازه رسول الله ﷺ للقتال بعد أن ردَّه أولاً لصغر سنه.

■ **سباق الخيل والجمال:** كان الرسول ﷺ يُجري السباق بين ناقته العضباء -وكانت لا تُسبق- وغيرها من النوق حتى سُبقت ناقته يومًا، فقال الصحابة: سُبقت العضباء، ولقد ثبت في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي أضمرت من الحفياء إلى ثنية الوداع -**والمسافة بينها من ستة إلى سبعة أميال**- وسابق بين الخيل التي لم تُضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق -**والمسافة بينها ميلا أو نحوه**- وكان ﷺ يعطي السابق في مثل هذه المسابقات جائزة على فوزه، ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه **أحمد** أن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما قال: سبَّق النبي ﷺ بين الخيل وأعطى السابق.

ومن هنا كان **عمر بن عبد العزيز** يرعى سباق الخيل بالمدينة، كنموذج من رعايته للرياضة، وفي سباق كانت المنافسة محتدمة بين فرس **محمد بن طلحة** حفيد **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه وفرس لرجل أعرابي فتسابقا، فإذا فرس الأعرابي متقدمًا، فجعل الأعرابي ينشد بأعلى صوته: غاية مجد نُصبت يا من لها... نحن جرينا لها وكنا أهلها... لو ترسل الطير لجئنا قبلها، فلم يلبث أن لحقه فرس محمد بن طلحة وجاوزه، فجاء سابقا، فقال **عمر بن عبد العزيز** للأعرابي: سبقك والله ابن السباق إلى الخيرات.

ومن هنا يتضح كيف كان مجتمع الصحابة والتابعين رياضيًا، فأي رياضة تمارس اليوم؟! وكم من الوزن الزائد في جسدك تريد أن تتخلص منه؟!

ومن العجيب أن الشباب اليوم يتابع القنوات الرياضية والمجلات الرياضية وأخبار الرياضة دون أن يكون له في أي رياضة أدنى نصيب!!

ذكروا أن **ابن مجاهد** شيخ قراء بغداد خرج مع بعض إخوانه إلى أحد بساتين بغداد، وصاروا يتريَّضون ويمزحون، فرمقه أحدهم معترضا فقال له **ابن مجاهد**: التعاقل في البستان مثل اللعب في المسجد.

رابعاً

نحو أعظم استفادة

يُحكى أن حطاباً كان يجتهد في قطع شجرة في الغابة ولكن فأسه لم يكن حاداً إذ أنه لم يشحذه من قبل، فمرَّ عليه شخص ما فرآه على تلك الحال، فقال له: لماذا لا تشحذ فأسك؟ قال الحطاب وهو منهمك في عمله: ليس لدي وقت!!

ومن يقول اليوم أنه مشغول وليس لديه وقت لديه لتنظيم وقته فهذا شأنه شأن الحطَّاب في القصة!



إن شحذ الفأس يساعد على قطع الشجرة بسرعة، ويساعد أيضاً على بذل مجهود أقل، ويتيح لك الانتقال لقطع شجرة أخرى، وكذلك القواعد التالية تساعدك على إتمام أعمالك بشكل أسرع ومجهود أقل، وتعينك على اغتنام فرص لم تكن تحلم بها أو تخطر على بالك لأنك غارق حتى أذنيك في الأشغال!! ولأن الماضي لا سبيل إلى إرجاعه، والمستقبل لا تعلم هل تدركه أم لا، فلم يعد بين يديك سوى اللحظة التي أنت فيها، فأجره عليها هذه القواعد:

١- حدِّد أهدافك أولاً:

إذا لم تعرف إلى أين تذهب فلن تعرف أي الطرق يوصلك؟!

أنت بلا أهداف عبارة عن سفينة تتناولها الأمواج



الهائجة والرياح العاصفة يمنة ويسرة حتى توصلك إلى شاطئ المجهول.

وتذكَّر ما أوصاك به علماء الإدارة من أن ساعة واحدة من التخطيط تُوفِّر عليك ١٠ ساعات من التنفيذ، ذلك أن الأعمال تولد مرتين: الولادة الأولى عبر التخطيط، وهو الوجود الذهني للعمل، والولادة الثانية عبر التنفيذ وهو الوجود المادي للعمل.

لذا كان من الرائع النافع أن تحتفظ بخطة زمنية أو برنامج عمل زمني على مدار عام كامل تغطّي بها أضلاع الوقت الأربعة، فتضع أهدافًا سنوية إيمانية ومهارية واجتماعية وترويحية، ومنها تنبثق قوائم الإنجاز اليومية التي تفرضها على نفسك كلما نسيت أو كسلت، على أن يتبع ذلك محاسبات يومية وشهرية وسنوية تستهدف تقييم مسيرة حياتك وقياس نجاحك أو إخفاقك، واستدراك ذلك أولاً بأول.

٢- التخطيط للغد:

نم على أفضل العزائم

وهي وصية ثمينة لا يقولها إلا من برع في اغتنام أوقاته، لأنك إذا نمت فمت من ليلتك احتسبت أجر عمل غد دون أن تعمله وكُتب لك كاملاً في ميزانك، وإن عشت استرحت من تدبير خطة يوم كامل لأنك سبق وأن فرغت من إعدادها قبل النوم.

وهذا التخطيط المستقبلي علمنا الله إياه في كتابه حين قال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾
(الحشر: ١٨)

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في هذه التقوى وجهان:

أحدهما: أنها تأكيد للأولى.

والثاني: أن الأولى المقصود بها التوبة مما مضى من الذنوب، والثانية المقصود بها اتقاء المعاصي في المستقبل.

وبذلك تنافس الأيام بعضها في الخير، وتسابق الساعةُ الساعةَ التي وراءها في نيل الأجر .. وهو الجِدُّ في لغة **المتنبي**:

هو الجَدُّ حتى تفضل العينُ أختها وحتى يكون اليومُ لليوم سيِّدا

٣- ما كل الأوقات سواء:

ولنستدعِ مربع الوقت هنا لنعرف معنى العبارة السابقة وأثرها على:

الضلع الإيماني:

- **مدار العام**: رمضان وشعبان والمحرم أشهر مباركة فيها من الخير وفرص الثواب ما ليس في غيرها من الأشهر.
- **الأيام**: عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان، ويوم الجمعة من كل أسبوع ليست كسائر الأيام في فضلها.
- **اليوم**: الثلث الأخير من الليل، بين الأذان والإقامة، وعقب الصلوات، وبعد صلاة الفجر حتى تشرق الشمس: كل هذه الأوقات تسبق غيرها من أوقات اليوم في الأجر والثواب المترتب على اغتنامها.

والذكي ليس فقط من يبذل جهده بل من يعرف متى يبذل جهده ليجني أعلى الأرباح بأيسر المجهودات.

الضلع المهاري:

الصيف والأجازات ليس كغيره من الأوقات من حيث الوقت المتاح والفرصة الكامنة لتطوير قدراتك وصقل مهاراتك.

الضلع الاجتماعي:

- الأعياد والمواسم وظروف المرض والوفاة ليست كغيرها في أداء الواجبات الأسرية.
- وقت محن المسلمين، واستغاثة الملهوفين، ونكبة المكروبين ليست

كفيرها في البذل والقيام بحقوق الأخوة واستشعار رابطة الأمة الواحدة.

الضلع الترويحي:

- أجازة نهاية الأسبوع والأجازة السنوية وأجازة نصف العام فرص حقيقية للترفيه المباح الذي يُردُّ للنفس حيويتها ونشاطها.
- الرياضة للشباب أوجب، وللبدين أوجب، وللفارغ أوجب.

٤- المرحلة الشبابية:

إن مرحلة الشباب - يا شباب - هي مرحلة الطاقة المتوقدة والحيوية المتدفقة، والعطاء بغير حدود.. والفترة التي تستطيع فيها أن تصنع العجائب.. وملامح آمالك ومستقبلك إذا لم تُرسم في هذه المرحلة فاتك قطار النجاح.

إذا المرء أعيته المروءة ناشئًا ... فمطلبها كهلاً عليـه عسيـر

ولأنها كنز فستحاسب عنها مرتين، تحاسب عن عمرك أولا ثم عن شبابك، فلا حلاوة بغير غرامة، ولا عطاء بلا حساب.

أيها الشباب.. كل شيء بين أيديكم: الوقت.. الصحة.. القوة.. المستقبل.. لذا كان لهذه النعم ثمن وتبعات، والكل اليوم يتنافس عليكم: الصالحون والطالحون.. وسائل الإعلام الهادفة والهدامة.. الملائكة والشياطين.. الجنة والنار.

مع ملاحظة أن:

- الشباب قبل الزواج أفرغ منه بعده.
- الشباب قبل العمل وأثناء الدراسة أفرغ منه بعد العمل.
- وكلما أدرك لشباب قيمة الوقت مبكرًا كلما كان خيرا له، وكلما تأخر كانت الخسارة أفدح.

وصدق القائل:

اثنـان لو بكت الدمـاءَ عليهما ... عينـاي حتـى يؤذنـا بذهـاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الأحباب

والوهم هنا هو التسويف وتوقع تحسن الأحوال في المستقبل وانتفاء الأعذار عن قريب، ويبدِّد هذه الأوهام جوهرة أهل الشام **عبد الفتاح أبوغدة** فيقول: "أيها الأخ العزيز.. كلما كبرت سنك، كبرت مسئولياتك، وزادت علاقاتك، وضاقت أوقاتك، ونقصت طاقاتك، فالوقت في الكبر ضيق، والجسم فيه أضعف، والصحة فيه أقل، والنشاط فيه أدنى، والواجبات والشواغل فيه أكثر وأشد، فبادر ساعات العمر وهي سانحة، ولا تتعلق بالغائب المجهول، فكل ظرف مملوء بشواغله وأعماله ومفاجآته".

٥- الفراغات البينية:

طلب رجل من أخيه أن يملأ جردلا بالحجارة، فملأه بالحجارة حتى امتلأ، فقال له: استمر، فأجابه أنه امتلأ عن آخره، فقال: ما زال هناك متسع، ثم أخذ قطع حجارة صغيرة ملأ بها الفراغات الموجودة بين قطع الحجارة الكبيرة، ثم طلب من أخيه أن يستمر في الملأ فلم يعرف ماذا يفعل، فقام هو بسكب الرمل ليملأ المسافات الموجودة بين قطع الحجارة الصغيرة، ثم طلب إليه في الرابعة أن يستمر في الملأ، فانفجر أخوه في وجهه قائلاً: ماذا أملأ؟! فأحضر بعض الماء فصبه في الجردل الممتلئ!!

يا من يعيش نصف حياة عن طريق تضييع النصف الثاني!! فأنت تمتلك أوقاتا كثيرة وقوى كامنة متنوعة، لكنك لا تفطن لها ، ومن ثم تُخفق في اغتنامها.

أخي الشاب.. أختي الفتاة..

هل تعلمان أن الفراغ الذي تعانيان منه قد حدا بعمالقة البشر إلى أن يستثمروه في الحصول على بطولات رياضية ، أو انتصارات علمية تنعم البشرية في ظلها اليوم، ففرضوا أنفسهم على الناس أحياء وأمواتا، ولم يذهبوا كغثاء السيل، ولم يرضوا لأنفسهم أن يكونوا نسخًا مكررة من ملايين النسخ التي تشاهدانها كل يوم، وإنما رحلوا عن الدنيا وقد تركوا بصماتهم

عليها..

♠ تقول (**دورثي كارنيجي**): وكثيــرون هم النــاجحون الذين بلغوا ذروة النجاح معتمدين على ما جنوه من علم ومعرفة خلال أوقات فراغهم..

♠ كان (**تشارلس فروست**) إسكافيًا ولكنه استطاع أن يصبح من البارزين في الرياضيات بتخصيص ساعة واحدة من يومه للدراسة.

♠ وكانّ (**جون هتنر**) نجارًا.. ثم شرع يدرس (التشريح المقارن) في أوقات فراغه، مخصصًا لنومه أربع ساعات وحسب من الليل، حتى أصبح حجة في هذا الميدان.

♠ واستطاع (**سير جون لايوك**) أن يقتطع من يومه المزدحم بالعمل بوصفه مديراً لأحد المصارف. ساعات يقضيها في دراسة التاريخ حتى أصبح علَمًا بين المؤرخين.

♠ وتعلم (**جورج ستيفنسون**) الحساب في أوقات نوباته الليلية بصفته مهندسًا، ووسعه مستعينًا بهذا العلم أن يخترع القاطرة.

♠ ودرس (**جيمس واط**) الكيمياء والرياضة في أثناء اشتغاله بالتجارة فأمكنه أن يخترع المحرك البخاري..

والله كم كـان يخسر الإنسان دنيويًا وأخرويًا حين لا يغتنم الأوقات البينية والمسـافات الزمـانيـة، وكم يتحسر المرء أن المسلم وهو أحق الخلق باغتنام الوقت هو أبرع الناس في تضييع الأوقات اليوم!!

أخي..

أضف إلى عمرك عمرًا آخر عن طريق اغتنام الأوقات الضائعة:

- أوقات المواصلات.
- أوقات الانتظار في المصالح الحكومية أو لدى الطبيب أو الحلاق.
- أوقات الراحة والاسترخاء.



مصحف جيبي راحة قلبي

إذا افترضنا أنك تستطيع حفظ ٥ آيات يوميًا عن طريق مصحفك في وسائل المواصلات، فأنت بذلك تقدر شهريًا على حفظ ١٥٠ آية، لتحفظ أكثر من جزء من سورة البقرة في شهر (ينتهي الجزء الأول عند الآية ١٤٢)، وبعد شهرين ستفاجأ أنك قد حفظت ٣٠٠ آية أي أنهيت سورة البقرة كلها في شهرين (سورة البقرة ٢٨٦ آية)، وبحسبة بسيطة تجد أنك تحتاج إلى قرابة ٣ سنوات ونصف لكي تحفظ القرآن كاملاً، فما رأيك أن تبدأ حفظ كتاب الله كاملاً من اليوم في وسائل المواصلات؟!

لكن.. كم من الوقت تهدر كل يوم؟!

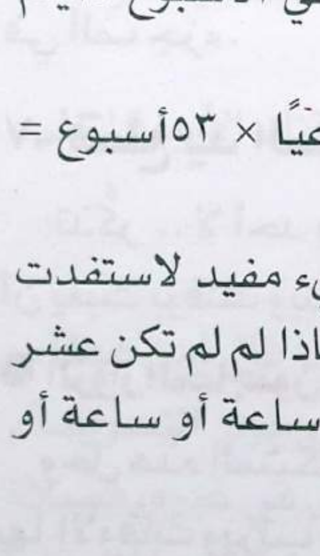
في إحصائيات كثيرة نجد أن تراكمات الأمور صغيرة تهدر ساعات وأيام كل سنة، فلو كنت تقضي ١٠ دقائق في طريقك من البيت إلى العمل ومثلها من العمل إلى البيت، فمعنى ذلك أنك تقضي ٢٠ دقيقة يوميًا تتنقل بين البيت ومقر عملك، ولنفرض أن عدد أيام العمل في الأسبوع ٥أيام أسبوعيًا.

الوقت المهدر: ٥أيام × ٢٠دقيقة = ١٠٠دقيقة أسبوعيًا × ٥٣أسبوع = ٥٣٠٠ دقيقة = ٨٨ ساعة تقريبًا.

فلو قمت باستغلال هذه الدقائق العشر يوميًا في شيء مفيد لاستفدت من ٨٨ ساعة سنويًا تظن أنت أنها وقت لابد أن يضيع، وماذا لو لم تكن عشر دقائق وكانت عشرين دقيقة بين بيتك والعمل أو نصف ساعة أو ساعة أو ساعتين؟! فكم من الكنوز بين يديك دون أن لا تشعر!!

٦- الضربة المزدوجة:

بمعنى أن تخدم ضلعين من أضلاع مربع الوقت في آن واحد، فمثلاً:



✿ قد تذهب للرياضة مع أحد أصحابك فتجمع بين الرياضي والاجتماعي في عمل واحد.

✿ قد تمارس الرياضة وأنت تسمع كتاب مسموعًا أو شريطًا مفيدًا أو عن طريق MP3, iPod ، فترث بذلك **الخطيب البغدادي**، فقد روى **الحافظ الذهبي** في تذكرة الحفاظ أن الخطيب البغدادي كان يمشي وبين يديه جزء يطالعه!!

✿ قد تذهب لصلة رحمك وفي وسائل المواصلات تغتنم الوقت في مراجعة ما تحفظ من قرآن أو حفظ جديد فتجمع بين الاجتماعي والإيماني في ضربة واحدة.

وهذا من الذكاء الذي يؤدِّي إلى أعظم الإنجازات.

قال **عبد الرحمن ابن الإمام أبي حاتم الرازي**: "ربما كان يأكل وأقرأ عليه ويمشي وأقرأ عليه ويدخل الخلاء وأقرأ عليه ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه".

فكانت ثمرة هذا المجهود وهذا الحرص على استغلال الوقت كتاب الجرح والتعديل في تسعة مجلدات وكتاب التفسير في مجلدات عدة وكتاب السند في ألف جزء.

٧- قطع يد السارق:

تذكَّر .. لا أحد يستطيع أن يضيِّع وقتك... إلا أنت، لأنك سمحت لغيرك أن يعبث بوقتك وينهب ثروتك ويسرق كنزك.

● الزوار المفاجئون:

وحل هذه المشكلة في كتاب الله، فقد أنزل الله آية في سورة النور لينظم بها الأوقات ويرتّب الأولويات ويرفع الحرج:

﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
(النور: ٢٨)

● عدم القدرة على قول " لا ":

♦ هل لديك الشجاعة لتعتذر عن عمل لا تستطيعه إذا كنت متأكدًا من

عدم إنجازك له أم ترضخ تحت وطأة الشعور بالإحراج ؟!

♠ هل تستأذن من أصحابك إذا سهروا عندك إلى ما بعد موعد نومك أم تستشعر الإحراج؟!

♠ هل تعتذر عن إجابة دعوة زميل عمل أو دراسة إلى مكان يُعصى الله فيه تحت وقع الإحراج؟!

ضعف التخطيط:

التخطيط هو الجسر الذي يربط ما أنت عليه الآن بالنتيجة التي تريد بلوغها، وقد حذَّر **ستيفن كوفي** أشهر خبراء القيادة والتحفيز، بأننا إن لم نكوِّن الولادة الأولى لأعمالنا ولأنفسنا، فسيكوِّن الواقع بشكل عفوي ولادة ثانية قد لا تتماشى مع ما نريد.

النت والفضائيات:

أكثر ما يضيع الوقت اليوم، فكثير من الإحصائيات تشير إلى أن الشباب العربي يقضي متوسط ٧ ساعات يوميًا بين مشاهدة الفضائيات والنت، والفائدة المضافة في أغلب الأحيان: صفر.

والحل: املأ كل ذرة من وقتك وارسم بيديك أضلاع وقتك الأربعة لتطرد بها كل مظاهر اللهو الزائد أو الحرام.

التسويف:

وهو داء عضال، أعاننا الله عليه عن طريق الطاعات كما قال **ابن عطاء**: "قيِّد الطاعات بأعيان الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف".

فكل طاعة لها وقت معلوم، تؤدى فيه ولا يجوز أن تؤدَّى في غيره، فصلاة الفجر قبل شروق الشمس وإلا بال الشيطان في أذنيك، وكل صلاة وقتها ممدود إلى وقت الصلاة التي تليها وإلا كانت قضاء، والوقوف بعرفة آخره غروب الشمس وإلا فسد الحج، وزكاة الفطر وقتها قبل صلاة العيد، والطعام والشراب في ليالي رمضان حتى طلوع الفجر، وهذا كله كي لا تعتاد النفس التأجيل والتسويف، فأكمل المشوار الذي أرادك الله أن تسلكه ليكون العزم والعمل لا العجز والكسل منهجك في الحياة.

● **صحبة السوء:**

- كم مرة دعتك رفقة سوء فأجبتهم فأضاعوا ليلة كاملة من عمرك في لا شيء إن لم يكن حراماً.
- كم مرة أغراك صاحب غفلة بحديثه فاستدرجك إلى كلام حرام أو مشاهدة حرام.
- كم مرة أيقظت فيك صحبة سوء نوازع الشر وبذور الحرام فأنفقت وقتك في ما يسوؤك يوم القيامة ويفضحك.

إن مصاحبة الكسالى ومخالطة مضيعي الأوقات مهدرة لطاقات الشباب، ومضيعة لأوقاته، والمرء يقاس بجليسه وصاحبه، ولهذا قال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه وهو يصنع قاعدة تقييم الرجال: "اعتبروا الرجل بمن يصاحب فإنما يصاحب الرجل من هو مثله".

والحل: الاستبدال، وأن تغيِّر صحبتك بصحبة أخرى أرقى وأنقى، ولا تؤجِّل هذه الخطوة فتشقى.

عفواً!! انتهى الوقت!!

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه موقفين للإنسان يندم فيهما أشد الندم على ضياع وقته ويستشعر بحق قيمة اللحظة الضائعة:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار وفيه يصرخ المفرِّط:

﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون ٩٩-١٠٠)

والموقف الثاني: في الآخرة، يقول تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ (يونس:٤٥)

ويقول: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ (النازعات: ٦٤)

خالد مات؟!

كان معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: إنا والله من زرع قد استحصد أي حان حصاده: ولما نعي له صاحباه عبد الله بن عامر والوليد بن عقبة وكان أحدهما أكبر منه والآخر دونه في العمر، أنشد قائلاً:

إذا سار من خلف امرئ وأمامه

وأفرد من أصحابه فهو سائر

ثم مات معاوية عام ٦٠ من الهجرة، وورث هذا المعنى الأعمش فلما قيل له: مات مسلم النحات، فقال: إذا مات أقران الرجل فقد مات، ثم مضى الأعمش وغادر الحياة عام ١٤٨ من الهجرة، فالتقط خيط الضوء منهما قبل أن يتبدد إبراهيم بن أدهم المتوفى عام ١٦٢ فقال محفزاً على العمل قاتلا روح الكسل: "سارعوا وسابقو فإن نعلا فقدت أختها سريعة اللحاق بها".

وصدق ثلاثتهم، وأخلصوا لنا الموعظة، وبقي أن نرى أثر كلامهم على أعمالنا، ودلائل قصر الأمل في حياتنا.

مات منذ أيام أخي المهندس علي إسماعيل ومن قبله هذا العام مات أبي..وأنا وأنتم على الأثر.. نلحق بهم غدا أو بعد غد..

مسافرون نحن.. منتظرون على رصيف في محطة قطار.. وفي القطار عربات متقدمة وأخرى متأخرة.. ولا ندري في أي العربات نزلنا؟! ولا متى نغادر قطار الحياة إلى محطة الوصول.. والله.. يوشك الدور أن يصيبنا، وملك الموت أن يزورنا، وظلمة القبر أن تحتوينا!!

مات أخونا فجأة دون سابق إنذار فلا مرض ولا هرم، لتصلنا رسالة السماء: لا تنتظر لإصلاح نفسك شيبا يغزو شعرك أو مرضا يبطش بصحتك، فرب ضاحك ملء فيه في ليلة قامت بواكيه آخرها.

مات أخونا الحبيب وهو صائم، وقد زف لنا البشرى رسول الله ﷺ حين قال: «**من خُتِمَ له بصيام يوم دخل الجنة**».

ومات أخونا الحبيب وهو في مهمة دعوية، وهي أشرف المهام وأسمى المقامات، لكنه استمر في دعوته بعد موته وواصل مسيرته بعد دفنه!! لسانا ناطقا وهو ميت كما كان لسانا ذاكرا وهو حي.. فأحيا القلوب التي حضرت جنازته.. ونثرت التراب على وجهه الطاهر، ولئن كان بالأمس أنطق منه اليوم، فإنه اليوم أوعظ منه بالأمس: وصدق من قال:

وكانت في حياتك لي عظات... فأنت اليوم أوعظ منك حيا.

وعند قبره كان الدعاء خاشعا والدمع متواصلا، ومن لم يعتبر بعينه لم تنفعه أذنه، ومن اعتبر بالمشاهدة استغنى عن الموعظة، وليبقى السؤال:

ما السر في حسن خاتمته وروعة مغادرته؟!

أي شيء رفعه.. أي عمل أكرمه الله به وزين به خاتمته..

والله ليس إلا في سر، وما هو غير أحد أمرين:

● السرائر..

من أصلحها.. ضمن حسن الخاتمة وروعة الرحيل.. ومن فرط فيها فقد جنى على نفسه ولف حبل سوء الخاتمة حول عنقه.

فالله الله في السرائر.. اتق الله أخي في مفتاح الخواتيم وسر علو السادة المقربين، فلتحفظ سرك بينك وبين حبيبك، ولا تفشه ولو لأقرب الناس منك، وذلك بأن يكون لك خبيئة من عمل صالح لا يطلع عليه أحد غير ربك، لتنقش كلمة الإخلاص في ديوانك، وتنحت صخرة الرياء بل تنسفها من سجلاتك، وتمحو بذلك ما سوى الله من قلبك، والمكافأة غدا: كنز ثمين مخبوء:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾

● المداومة على العمل الصالح:

أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ، وأحب العباد إلى الله من داوم على عمله الصالح، فهي علامة محبة العبد لله وعلامة محبة الله للعبد، وقليل من يفعله، وأنفاس الأكثرين قصيرة، يتأرجحون بين الطاعة والمعصية كبندول الساعة، ويعيشون في أجواء الطاعات تارة وأجواء الغفلات تارة أخرى، أما من ثبت واستمر، فهو من حاز وسام البطولة واستحق رحيلا رائعًا كهذا.

الصالح لا يوقفه عن عمله زخرف دنيا، كيف لا وقد انتمى لحزب قال الله تعالى فيه: رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

الصالح لا يوقفه عن عمله عجز ولا انعدام قدرة، كيف لا وقد بهرته المساواة التي أعلن عنها نبيه ﷺ: «**رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا، وهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه بمثل الذي يعمل، فهما**

في **الأجر سواء**». صحيح

الصالح لا يوقفه عن عمله مرض ولا ضعف: كيف

وقد كان تعلم من نبيه أنه لم يكن يدع قيام الليل،

وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً.

الصالح لا يوقفه عن عمله تفرد ولا وحشة طريق أو قلة

رفيق، وكيف وربه يبشره: «**أنا جليس من ذكرني**» صحيح.

وتبقى خمس وصايا خطرت ببالي بعد دفن أخي الحبيب، أحتسب مثل ثواب الدعوة إليها والعمل بها في ميزان حسناته وقد مات، وأرسل بها إلى صحيفة حسناته وهو في قبره، ألا وهي:

١. وصية مكتوبة:

قال رسول الله ﷺ: «**ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي به يبيت ليلتين إلا ووصية مكتوبة عند رأسه**».

متفق عليه

فقم من التو واللحظة، واكتب وصيتك إن لم تكن فعلت، واستحضر النية عند كتابة الوصية بأن تفعل ذلك اتباعا للسنة، واستعدادا للموت، وأداءً للحقوق، وتذكرةً لمن حولك بالآخرة، وإبراءً لذمتك إن عصي الله ورسوله بنواح أو مخالفة سنة.

١. ثورة محمودة:

فلتشعا نار الثورة في عباداتك وعاداتك.. في أخلاقك وأهدافك.. في علاقاتك، فتغتنم هبوب ريح الموت على قلبك، وتستنشق من العزائم ما تهدم به كسلك، وتجدد رتابتك، وتنفح الروح في صور عبادات ميتة فتبعث فيها الحياة بعد أن طغت عليها المادة فأهلكتها..

ولذا كانت وصية النبي ﷺ بزيارة القبور ومعالجة الموتى أفضل الوصايا.

١. هجرة مفروضة:

أن تهجر كل ما لا تريد أن يصحبك إلى قبرك، وتفارق أي عمل سوء رافقك في حياتك خوفا من أن يدفن معك، فتطرده اليوم من حياتك الأولى قبل أن يرافقك أثناء حياتك الثانية!! ثم سائل نفسك:

ما أكثر ما يهلكك؟ ما أشد ما يجعل الشيطان يهزمك؟! ما المفتاح الذي غزا به قلبك وسعى به في هدم إيمانك؟ ثم تعزم العزمة المباركة على الهجرة المباركة.

١. غفلة مدحورة:

نعم سينزل بنا الموت، ولن يدع لأحد منا فضة إلا فضها، ولا ذهبا إلا ذهب به، ولا عقاراً إلا عقره، ولا مالاً إلا مال عليه، فكيف نغفل عمن يزورنا صباح مساء، يخطف الناس من حولنا، لينزع داء العصر من أفئدتنا، وهي الغفلة بكل أنواعها:

الغفلة عن الحساب..

الغفلة عن الثواب..

الغفلة عن العقاب..

والغفلة الكبرى عن حق الله رب العالمين..

١. زهادة نادرة:

أن تملأ الأخرة قلبك وإن أحاطت بك الدنيا، وأن تغرق في المال ولا تميل معه، وتتاجر في الذهب ولا تذهب معه، وأن تحتسب لكل خطوة دنيوية نية أخروية..

وأن تذكر الموت إذا فتحت عليك الدنيا فلا تطغى، وحين تدبر فترضى، وكيف لا وقد علـم الموت كل من كان له عقل ذكي أو قلب تقي أن أغنى الأغنيـاء سيقف على خط واحد مع أفقر الفقراء في البيت الموحش المسمى في هذه الدنيا قبراً.

وربك لو كشفتَ التُـرب عنهم
لما عُرِف الغنـي من الفقيـــر

ولا من كان يلبس ثوب صوف
ولا البـــدن المُنعَّم بالحـــرير

لذا كان حضورك الجنائز واستنشاق تراب دفن الأموات أفضل جرعة تشفي القلب من غفلته وترده إلى سليم فطرته، وقد استفادها الحسن بن علي حين قعد عند رأس ميت فقال: إن أمرا هذا آخره لأهل أن يزهد في ما قبله، وإن أمرا هذا أوله لأهل أن يحذر ما بعده.

Friends
For Ever

أحلى صحبة



هي الصحبة التي تأخذك إلى الجنة
بعيدا عن النار، وتدلك على الخير
تنقذك به من الشر، وتفتح أبواب
قلبك على مصراعيها لنور الإيمان
وتوصدها في وجه الشيطان، صحبة
كلها حسنات وبركات وأرباح وأفراح،
أما كيف؟! ولماذا؟! وأين تجدها؟!
وكيف تختارها؟! فأبحر معي على
متن هذه الصفحات لتعرف.



أولاً

لماذا الصحبة؟!



✿ لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، مفتقر لأبناء جنسه يميل للمخالطة والألفة، وما سُمّي الإنسان إنسانًا إلا لأنه يأنس بغيره، فلذلك يميل كل منا إلى رفيق له أو صاحب، تستريح له نفسه ويركن إليه بقلبه، ولهذا كان السجن الانفرادي من أقسى أنواع العقوبات، بل لما أراد النبي ﷺ معاقبة **كعب بن مالك** رضي الله عنه وصاحبيه لتخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر أمر الصحابة بهجرهم ومقاطعتهم، وكانت هذه أشد عقوبة عليهم حتى وصف القرآن حالهم بقوله:

﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾

(التوبة : ١١٨)

✿ المرء مفطور على التأثر والتأثير في من يتلاءم معه، وأنت حين تنظر إلى المجتمع من حولك تجد الصغار مع الصغار، والشباب يصاحبون الشباب، والكبار مع الكبار، حيث عامل الائتلاف هو المرحلة السِّنية، وكذلك تجد الأبرار مع الأبرار والفجار مع الفجار، حيث يجمع بينهم: الاهتمامات المشتركة والميول المتطابقة.

✿ الصحبة مصدر من مصادر تربيتك ومعرفتك في الحياة، وهي تصقل شخصيتك فكريًا وأخلاقيًا وتُمدُّك بثقافتك، وتؤثِّر من حيث لا تشعر في سلوكك وانفعالاتك وتصرفاتك تجاه الأحداث.

✿ الصحبة مطلب نفسي مُلِح خاصة في مرحلة الشباب والمراهقة، وعندها يشعر الشاب بالاحتياج الشديد إلى رفقة تؤنسه وتشاركه التعرف على حياته الجديدة، وفي هذه السن تتكون شخصية الإنسان، وفيها يبدأ الانسان رحلة البحث عن شخصيته الحقيقية، ليجد على الطريق صديقًا ورفيقًا يكتسب منه تجارب الحياة.

ويشير خبراء التربية إلى أنه قلما تجد مراهقًا له صحبة إلا وكان وسار على نهجها وطريقتها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وبعد أن يجتاز سن المراهقة وينضج يبقى في الغالب على ما كان عليه من أخلاق وسمات ، وربما بقيت صحبته كما هي لا تتغير في أشخاصها وأخلاقها.



✿ أقوى ما يكون التجاوب بين الأصدقاء، وصفاتهم تنتشر بينهم انتشار النار في الهشيم، وهذا أشد تأثيرا وأقوى ألف مرة من نصيحة الوالد أو كلام الأهل: زمّار الحي لا يُطرِب.

✿ يقضي الإنسان مع أصدقائه أكثر مما يقضي مع أهله، سواء كانوا رفقة عمل أو زملاء دراسة أو صحبة سفر.

ثانياً

الصحبة الصالحة

رغَّب الله في الصحبة الصالحة، وجعل المتحابين في الله على منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء لمكانهم من الله، وأوجب محبته لمن تحابوا فيه، بل وجعل أحب الأخوين إلى الله عز وجل أشدهما حباً لصاحبه، وجعل أوثق عرى الإيمان الحب في الله، ووضع من شروط ذوق حلاوة الإيمان: أن تحب المرء لا تحبه إلا لله، وهذه كلها رسائل من الله لعباده، ولعل أبرزها:

الرسالة الربانية الأسبوعية

قال تعالى:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (الكهف: ٢٨)

هذه آية تقع وسط سورة الكهف التي سنَّ لنا رسول الله ﷺ قراءتها يوم الجمعة، وبشَّر من يقرؤها أن له نوراً بين الجمعتين، وتتكرّر هذه الرسالة كل أسبوع ويُعاد بثها كل جمعة، لتنبِّهك إن كان قد شغلك همُّ الرزق أو السعي على العيال أو الغفلة عن صحبة الأخيار ومجالسة الصالحين، وإن كان قضاؤك أوقاتك مضطراً بين العصاة والمذنبين زرع الغفلة في قلبك المسكين، لتقول لك:

أفق من غفلتك وراجع نفسك في هذا اليوم المبارك الذي يقوم مقام رمضان بين أشهر العام، ومن بركته: وقفتك فيه مع نفسك ومحاسبتك لها.

وقد نزلت هذه الآية في أشراف قريش، حين طلبوا من النبي ﷺ أن يفرد لهم مجلساً، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّث نفسه، فأنزل الله عز وجل:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾

وأمره أن يُصبِّر نفسه في الجلوس مع هؤلاء، فقال:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾

والأمر للنبي ﷺ أي ليس مسموحاً لك يا محمد أن تفارقهم فضلاً عن أن ترفع بصرَك عنهم ولو لحظة واحدة، ولو كان الهدف نبيلاً وهو الطمع في استمالة أشراف قريش وساداتها إلى الإسلام، وكأن الآية تقول:

يا محمد..

- هؤلاء نظروا بقلوبهم إلى أمر الله فكيف ترفع نظرك عنهم؟!
- هؤلاء ينظر الله إليهم غداً فكيف تصرف عنهم بصرك اليوم؟!
- هؤلاء بقربهم من الله مع فقرهم خير من ملء الأرض من أولئك ببعدهم عن الله مع غناهم.

١- العدوى أو الاستشفاء:

قال ﷺ:

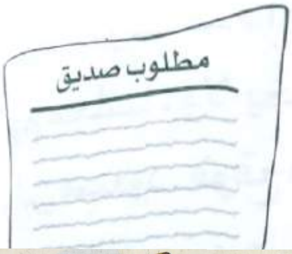
«**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**». صحيح

والخليل هو الذي عشق صاحبه حتى تخلل في جسمه كله، فصارا كشخص واحد، وأصدق وصف جاء فيه قول شيخ الشعراء **إسماعيل صبري**:

كأنَّ حبيبًا في خِلال حبيبه ... تسرَّب أثناء العناق وغابا

يا شباب الجنة..

الإنسان لا يختار أهله وإخوته، فهؤلاء يُفرضون عليه



بخيرهم وشرهم، ولكنه يختار أصدقاءه بمحض إرادته، فيصل من يوافق طباعه ويرتاح إليه، ويهجر من لا يروق له.



ولأن الصُّحبة ساحبة والطبع سارق، فقد قيل: صُحبة الأخيار تورث الخير وصُحبة الأشرار تُورث الشّر كالريح إذا مرّت على الخبيث حملت خبثًا، وإذا مرّت على الطيب حملت طيبًا.

ولمزيد إيضاح عن طريق ضرب مثال قال الإمام **الغزالي**: "مجالسة الحريص ومخالطته تحرِّك الحرص، ومجالسة الزاهد ومخاللته تُزهِّد في الدنيا لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء".

ولذلك قالوا:

"احذر عدوَّك مرَّة واحذر صديقك ألف مرَّة".

ذلك أنك تحتاط من عدوك وتشك فيه على الدوام وتتوقع منه كل مكروه، فتظل متيقظًا حذرًا، أما صديقك فتعطيه الأمان كله مما يجعل طباعه تتسلل إليك وتستشري فيك دون أن تدري.

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وأنت إذا أردت أن تعرف من غابت عنك معرفته أو لم تجرِّبه وتعاشره فلك أن تتعرف على أخلاق أصحابه، ليدلك ذلك على كماله أو نقصه، ولهذا قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكلُّ قرين بالمقارن مقتدي

عيوب المرء مستترة لا يكشفها إلا أصحابه كما أشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

وإذا أردت أن ترى فضيلة صاحب ... فانظر بعين البحث من رفقاؤه

فالمـرء مـطـويٌّ علـى عـلاتـه　　طـي الكتـاب وصحبـه عنـوانُـه

وأبو العتاهية صاح من قبل:

مـن ذا الـذي يخـفـى عليـك　　إذا نـظـرت إلـى خـديـنـه

وابن تيمية حلَّل مشاهدات زمانه وجعلها صالحة لكل زمان ومكان حين خرج لنا بهذه القاعدة الدقيقة والخطيرة في الوقت نفسه:

" المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم مثلاً يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ويصير طبعه مقتضياً لذلك ".

وقد قيل: الصاحب رُقعة في الثوب، فلينظر الإنسان ما يرِّقع به ثوبه.

يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه

وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه

وفي العين غنى للعيـن أن تنطق أفـواه

وللقلب على القلب دلـيـل حين يلـقـاه

أبلغ تشبيه

قال ﷺ: «**إنما مثلُ الجليس الصّالح وجليس السُّوء كحامل المسك ونافخ الكير**».

والجليس صيغة مبالغة من كثرة المجالسة والملازمة، وقد شبَّه النبي ﷺ الصلاح بالمسك لطيب ريحه وندرة وجوده وغلو ثمنه، وشبَّه السوء بالكير لأنه لا يصلح إلا لإضرام النار وإشعالها، ثم فصّل النبي ﷺ بعد الإيجاز:

«**فحامل المسك إما أن يهديك**» أي يجود عليك بالنصيحة والموعظة قبل أن تطلبها.

«**وإما أن تبتاع منه**» أي تسأله النصيحة فيبذلها لك.

«**وإما أن تجد منه ريحاً طيبة**» أي تنتفع بمجرد نظرك إليه حتى دون أن يتكلم، أو تنالك الرحمات والبركات بفضل مجالسته.

«**ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك**» وذلك بأن تُتابعه في شيء من فساده، فيضيِّع دينك وحسناتك بنار معصيته، وأنت تلمح في كثير من الأحاديث أن كلمة المعصية مرادفة لكلمة النار، ليكشف لك نبيك حقيقة معصيتك وترى من وراء لذة الذنب ألم العذاب فترتدع عن الوقوع فيه.

«**وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**» أي حتى إن لم تطع صاحب السوء في المعصية تأثَّر قلبك بهوان المعصية في عينك وسهولتها على نفسك.

٢- أنت مع من أحببت:

قال النبي ﷺ لمن سأله عن الساعة: **ما أعددت لها؟!** قال: حب الله ورسوله. قال: «**أنت مع من أحببت**».

وفي حديث **ابن مسعود** رضي الله عنه قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله.. كيف ترى في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟! فقال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**». ويعلِّق **أنس بن مالك** رضي الله عنه قائلاً: ما فرح المسلمون بعد الإسلام بشيء فرحهم بهذا الحديث.

إشارة إلى فضل حب الله ورسوله ﷺ وأهل الخير والصلاح، ولا يُشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل المرء نفس عملهم تماماً إذ لو كان كذلك لكان منهم لا معهم، لكنه حتماً سيكون منهم يوماً لأن المحبة تدفع ولابد إلى الموافقة، والمحب لمن يحب مطيع.

أخي..

الصحبة وكثرة المخالطة تؤدي بمرور الوقت إلى المحبة، والمحبة تحشرك مع من أحببت، فانظر من تحب أن تُحشر معه غداً فاصحبه اليوم؟! وإذا

حشرك الله مع أهل طاعته فأين المستقر إن لم يكن جنات عدن وعناق حور! وإن كان الحشر مع المخذولين بالمعصية فأين الملتقى إن لم يكن حفرة نار أو ظل شجرة زقوم؟ وهؤلاء يا أخي..

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر: ٣٦)

وقد سمّى الله سورة كاملة في القرآن باسم سورة الزمر، وأشار فيها إلى أنه لا أحد يُحشر يوم القيامة وحده، إنما يُحشر الناس جماعات، جماعة المتصدّقين أم جماعة القائمين أم جماعة الدعاة المصلحين أم جماعة الصائمين، أو على الجبهة الأخرى في جماعة الظالمين أم جماعة الخائنين أم جماعة آكلي الحرام أم جماعة غير المصلين؟!

قضية أخرى هامة:

من تحب اليوم يا أخي؟! من أحباؤك يا أختاه؟! من قدوتك اليوم ومثلك الأعلى؟ من ترغب أن تكون مثله غداً؟ من يملأ قلبك؟

هلا علمت قيمة المحبة وأهمية المشاعر؟! وقدر القلب ومحتواه!!

يا كل من قرأ ..

احسم أمرك .. وافتح قلبك لعشاق الجنة والعابرين أبوابها بغير حساب، ولا تتردد مقدار لحظة بل اخطُ الخطوة الحاسمة واتخذ القرار الصائب وأحب الحب الصحيح.

استدراك واجب

وإن كان الحشر جماعيًا إلا أن الحساب ليس جماعيًا بل فرديًا شأن كل خطوة من خطوات حياتك المصيرية التي ذكّرك بها **محمد بن أسلم** حين قال: "ما لي ولهذا الخلق!! كنت في صُلب أبي وحدي، ثم صرت في بطن أمي

وحدي، ثم دخلت الدنيا وحدي، ثم تقبض روحي وحدي، ثم أدخل في قبري وحدي، ثم يأتيني منكر ونكير فيسألاني وحدي، فإن صرتُ إلى خير صرت وحدي، ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي، وإن بُعثت إلى الجنة بُعثت وحدي، فما لي وللناس؟!".

وليست هذه دعوة للوحدة، إنا هي دقٌّ لجرس التنبيه على المسؤولية الفردية الملقاة على عاتق كل منا، وإن أحاطت به الجموع واحتضنه الآلاف.

٣- شفعاء الآخرة:

والشفاعة هي إخراج عبد من النار إلى الجنة عن طريق أن يشفع فيه نبيه ﷺ أو أخ له صالح، والنبي ﷺ أول شافع وأول مُشفَّع، لكنه أخبرنا ﷺ أن غيره يشفعون، فالشهيد يشفع في سبعين من أهله، وقد يشفع من المؤمنين رجال بما قدَّموا من عمل صالح، وكلما كثر عدد إخوانك الصالحين كلما كانت فرصك في نيل الشفاعة أكثر.

٤- أعوان على الخير:

تأملوا أي صلاح حولكم.. هل كان محروساً إلا بصحبة صالحة وإخوان صدق، وليس هذا مقصوراً على ضعيفي الإيمان فحسب بل في أقوى الأقوياء كذلك، والأدلة على ذلك كثيرة ومنها:

مجدد الإسلام في القرن الأول الهجري الخليفة الخامس **عمر بن عبد العزيز**، هذا الخليفة الذي عدل الأحوال المقلوبة والموازين المختلة في سنتين وعدة أشهر ليس غير.

هذا الخليفة الذي سأل غلامه -وهو راكب حماره- عن حاله، فقال له الغلام: الناس كلهم بخير يا أمير المؤمنين إلا أنا وأنت وهذا الحمار!!

خليفة دخلت عليه امرأة تطلب معونته، فلما رأت بيته عارياً من كل شيء قالت: أجئت لأعمِّر بيتي من هذا البيت الخراب؟! فقالت لها زوجته فاطمة: إنما خرَّب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك!!

هذه القمة الإيمانية وهذا الجبل الرباني .. بم استعان على صلاح قلبه وبم تقوّى عليه؟!

اسمع قول ابن عبد الحكم الذي ألّف كتابًا كاملاً عن سيرة **عمر بن عبد العزيز**: "كان قد أعانه الله من أهله بسهل أخيه، وعبد الملك ابنه، ومزاحم مولاه، فكانوا أعوانًا له على الحق، وقوة له على ما هو فيه".

٥- السباق السباق:

اعلم أن النفس البشرية فُطرت على حب التنافس والسباق، والتقدم على الغير والصدارة، وهذا التنافس إن لم يكن في الخير كان ولابد في الشر أو التفاهات، فأنت إن لم تنافس صالحًا في حفظ سورة فستنافس غيره حتمًا في حفظ أغنية، وإن لم تنافس في الفوز بقيام ليلة فستنافس على الفوز بقلب فتاة!! وإن لم تنافس في أرباح الآخرة فستنافس على حرام.

وحين أمرنا الله تعالى أن نسرع أمرنا بالمسارعة إلى الخير، فقال عز وجل:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (آل عمران: ١٣٣)

ثم لم يكتف بذلك بل شرح كيفية تلك المسارعة في آية ثانية، فقال:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (الحديد: ٢١)

والسباق هو مسارعة الأقران في المضمار للوصول إلى هدف واحد، فهو يسعون ويجتهدون غاية الاجتهاد أيهم يصل أولاً، ولأن المسابقة كناية عن المنافسة فقد جاءت الآية الثالثة وهي قوله تعالى:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين: ٢٦)

والتنافس: المغالبة على الشيء النفيس، فكلٌّ واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به لنفسه خاصة دون غيره، وأصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه، ويُنفس به على غيره أي يضنّ به.

وهل تجري هذه المسارعة والسباق والمنافسة إلا في أحضان الصحبة الصالحة؟!

لكن فيم يكون التنافس؟! أو علام ربّى النبي ﷺ أصحابه في هذا المضمار؟! هل سمعتموه ﷺ يومًا يسأل: أيكم أوفر مالاً أو أكثر عيالاً أو أعظم جاهاً؟!

أم أنه كان يسأل: «**من أصبح منكم اليوم صائماً ؟**» ويسأل: «**من تبع منكم اليوم جنازة ؟** » ويسأل: «**من أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟**» ويسأل: «**فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟**». ليحوز **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه السبق في هذا كله، وعندما يعلن رسول الله ﷺ نتيجة السباق:

«**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**».

٦- دعاء الملائكة :

قال ﷺ:

«**دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك : آمين و لك بمثل ذلك**». صحيح

فإذا دعوت اليوم بدعوة وتأخرت إجابتها فجرِّب هـذا الحل الرائع، واختر أحد إخوانك لتدعو له، فتحظى على الفور بدعاء الملائكة المجاب.

كان **لأبي حمدون القصّار** صحيفة مكتوب فيها ثلاثمائة من أصدقائه، وكان يدعو لهم كل ليلة فتركهم ليلة فنام، فقيل له في نومه: يا أبا حمدون!! لم تُسرج مصابيحك الليلة؟! قال فقعد وأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ.

والرفيـق الصـالح..

تمتد بركة رفقته لك بعد موتك فتجده عند قبرك يدعوالله لك بالثبات. كان **محمد بن يوسف الأصبهاني** يقول: وأين مثـل الأخ الصالح ؟! أهلك يقتسمون ميـراثك وهو منفـرد

بحسرتك، مهتم بما قدمت، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

أما صاحب السوء..

فلا يعرف الدعـاء أصلاً وإن عـرف لم يقبل الله دعاء قلب خبيث، فمع أي الأصحاب رميت نفسك اليوم؟!

٧- يا مرآة أخيك :

يا أخي.. هل تستطيع التعرف على شكلك وأناقة ملبسك دون أن تنظر في المرآة ؟! مستحيل، وكذلك مستحيل أن تتعرف على عيوب نفسك دون أن تنظر في مرآة أخيك، ولو انفـردت بنفسك لكنت أعمى عن عيوبك، وبذلك تعلم أنك تشكّل لبنة هامة في هذا الصرح العظيم المُسمّى بالأخوة.

وقد فهم **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه - **المؤيّد بالوحي في أربعة عشر موضعاً**- هذا المنطق جيداً فانطلق يدعو: رحم الله امرأ أهدى إليّ عيوبي.

وكان يطلب من إخوانه النصيحة المباشرة، فقد قال يوماً **لسلمان الفارسي** وقد قدم عليه: ما الذي بلغك عني مما تكره؟ فاستعفاه **سلمان**، فألحّ عليه فقال: بلغني أن لك حلتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل، وبلغني أنك تجمع بين إدامين (نوعين من الطعام) على مائدة واحدة !! فقال عمر رضي الله عنه : أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما؟ فقال: لا.

والمؤمن الحقيقي يحبـك إن نصحتـه لأنك رأيت فيه ما لم ير في نفسه، أما المنافق فيكرهك، وقد عاب الله على قوم ثمود فقال على لسان نبيهم صالح عليه السلام :

﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾

٨- نحو الأفضل :

كل منا لديه صفات محمودة وأخرى مذمومة، ومن فوائد الصحبة الصالحة

أنك تكتسب بها أفضل خصلة في كل فرد منها، بعد أن تلتقطها عبر جهاز استقبالك اليقظ، فتكتشف أفضل الخصال وأجلّ الأعمال، وتبدأ عندها الغيرة المحمودة عملها لتُحدِث أثرها في قلبك فتسعى لإدراك ما أدركوا، وكلما كان الإيمان أقوى كلما كانت التقاط الأشارات أدق وأهدى، وأنت بدورك تمتلك كثيرا من الصفات حسنة تنبعث من جهاز إرسالك إلى من حولك.

٩- هزيمة إبليس:

عن النبي ﷺ قال: «**لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده**». صحيح

ولاشك أن الاثنين أقوى على الشيطان من الواحد، والثلاثة أقوى من الاثنين، والعشرة أقوى وأقوى، ولذا كان انهزام الشيطان على أعتاب الجماعة المؤمنة والصحبة الصالحة أوكد.

ثالثًا

صحبة السوء

١- الثمرة الفاسدة مُعدِية :

ماذا يحدث حين تترك ثمرة فاكهة واحدة وسط سلة كبيرة من الفاكهة؟! ألا ترى أنها تُفسد غيرها وينتقل العطب منها إلى كل ثمرة حولها، وهل حدث يومًا أن أصلَحت الفاكهة السليمة الثمرة الفاسدة ؟! وفي هذا إشارة أن الهدم أسهل كثيرًا من البناء، وفي هذا يقول الشاعر:

لا تصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

والتثاؤب مثلاً يُعدي، والدليل أن الكسل يسري في الجالسين بمجرد تثاؤب واحد منهم، وكثير من الشباب اليوم يُصرُّ على مرافقة صحبة السوء رغم علمه بسلوكياتهم الخاطئة ظنا منه أن لديه المناعة الكافية لصد أي هجوم منهم أو فساد، ناسيًا أن جرثومة الفساد تتسلل إلى القلب وتظل كامنة فيه لتقوى مع الزمن، فتكون الضربة القاضية، وكم من أناس انحرفوا بعد أن كانوا صالحين وسقطوا بعد الثبات لتأثرهم بأصدقائهم المنحرفين.



ومن شؤم صحبة أهل الباطل والمعاصي أنها تهوِّن المعصية في القلب. يقول **الإمام الغزالي**: " أما الفاسق المصر على فسقه فلا فائدة في صحبته بل مشاهدته تهون أمر المعصية على النفس ، وتبطل نفرة القلب عنها " .

دعوة إلى طعام!!

قال رسول الله ﷺ :

«لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي». حسن

لأن المطاعمة أوثق عرى المخالطة، ومخالطة العاصي تخدش الدين وتوقع في المكروه ثم الحرام، وقد نهى النبي عن تُطعم طعامك إلا الأتقياء حرصاً عليك وخوفاً من انتقال العدوى إليك.

التدخين والإدمان نموذجان

وقد مرَّ بك أثر الجليس، وهذا الأثر تراكمي متدرج على شخصية المرء وأخلاقه، وتتسلل هذه الآثار التراكمية إلى نفس الصاحب دون أن يشعر، ولا ينتبه إلا بعد فوات الأوان، فلو كان أحد الأصحاب مثلاً مدخّناً والآخر لا يدخن، ويظن في نفسه أنه لن يتأثر بصاحبه، فإن اعتياده على رائحة السجائر، ثم الرغبة اللاشعورية في التوحد مع الأصحاب، تدفعه -دون أن يشعر- إلى المسايرة، فيدخِّن مرة لإرضاء صحبته، ومرة ثانية وثالثة على سبيل التجربة حتى يعتاد التدخين.



ونموذج آخر:

تعاطي المخدِّرات يبدأ عن طريق مجموعة من أصدقاء لهم نفس صفة التعاطي، فإذا انضم عضو جديد إليهم وجد أن عليه أن يسايرهم مجاملة لهم في أول الأمر، ثم تتكرر عملية التعاطي، وفي المرة الأولى والثانية يكون التعاطي هدية مجانية، وبعد الإدمان يكون بمقابل بعد أن تعجز الضحية عن الإقلاع وتبدأ رحلتها مع الإدمان!!



٢- عداوة الآخرة:

قال تعالى:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

يوم القيامة يتعلق المسيء بأي قشة لينجو، ويتطلع غير المتقين إلى أي عذر يحتمون به، ولأن الهول شديد والفزع شامل يلقي بعضهم باللائمة على بعض، ويتنازعون ويختلفون، وكأنهم أعداء في ساحة حرب يقتتلون، كل منهم يرى الضرر دخل عليه من قبل صاحبه، وإذا كان العبد سيفر من أخيه في النسب على ما كان منه نحوه من مودة وقربى، فكيف بالصاحب الذي كان سبب الوقوع في جهنم!!

وصدق القائل:

إذا برزت ليوم العرض نارٌ	لها الناس الوقود مع الحجارة
يفرُّ المرء حقًا من أخيه	ويُنكر في المعاد من استزاره
فلا الخلُّ الحميم يُغيث خِلا	ولا الجار المجير يُجير جاره

٣- طرد الملائكة :

إن صحبة السوء تطرد الملائكة التي تحرسك وتحوطك حال طاعتك وذكرك، **واسمع إن طلبت الدليل:**

قال رسول الله ﷺ : «**ما من راكب يخلو في مسيره بالله وذكره إلا كان ردفه ملك ، ولا يخلو بشعر ونحوه إلا كان ردفه شيطان**». حسن

والله لو رفع الله الغشاوة عن قلوبنا لرأينا الملائكة ترفرف بأجنحتها على رؤوس الأبرار، والشياطين تلعب بإغوائها في رؤوس أهل العصيان.

فماذا فعلت يا مصاحب غير الأبرار؟!

باختصار

طردت ملائكة الرحمة التي تحبك، وأخرجتهم من جوارك بعد أن آذيتهمْ بريح معاصيك لتقع فريسة سهلة لشياطين تتربص بك في كل لحظة، وتتحين أي نقطة ضعف تهاجمك منها وتتسلل.



٤- الرضا عن النفس:

قال **ابن عطاء الله السكندري**: "ربما كنت مسيئًا فأراك الإحسان من نفسك صحبتك من هو أسوأ منك".

إن الأعور أفضل حالاً من الأعمى، لكن العور يظل عيبًا وعجزًا، فلا تنظر إلى العصاة وتقول: أنا أفضل حالاً من هؤلاء، بل انظر إلى السابقين بالخيرات وقل: ما الذي أخَّرني عن هؤلاء؟!

كثير من شباب اليوم أوقفهم على طريق الجنة أنهم صاحبوا المسيئين والغافلين، فزيَّنوا لهم العجز والتقصير، وصعَّبوا عليهم ارتقاء درجات الكمال ومراقي الصاعدين حتى أصابهم شلل الطموح، وهذا هو سلوكهم في كل زمان وسمتهم المتعارف عليه في كل مكان.

قال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: "لا تصاحب الفاجر فإنه يزيِّن لك فعله ويود لو أنك مثله".

٥- التقليد الأعمى:

فارق كبير بين الاقتداء والتقليد، فالاقتداء تقليد واعي، وأما التقليد فيكون شعوريًا ولا شعوريًا بدافع المحاكاة دون مبرّر أو تفسير، وقد شنّ النبي ﷺ حربًا شعواء على التقليد الأعمى في سبيل تكوين الشخصية المسلمة المستقلة وصناعة الفرد المتميّز، واسمعوا أقواله:

✿ «**إذا صليتم فاتزروا وارتدوا ولا تشبَّهوا باليهود**». صحيح



✿ «صلوا في نعالكم ولا تشبَّهوا باليهود». صحيح

✿ «غيِّروا الشيب ولا تشبَّهوا باليهود». صحيح

✿ «ليس منا من تشبَّه بغيرنا، لا تشبَّهوا باليهود ولا بالنصارى». حسن

فهل رأيتم أو سمعتم يا شباب عن دين يُربِّي أبناءه على مثل هذا الاستقلال وعدم الاتباع دون بصيرة ومحاربة الإمعية كهذا الدين العظيم؟!

ولجميع الآثار المهلكة التي سبق ذكرها للصحبة السوء، فقد جاء أمر الله صارمًا لنبينا ﷺ:

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾

القلب إذا أشرق فيه ذكر الله حصل فيه النور، وإذا تعلَّق بالخلق حصلت الظلمة بل الظلمات، فإذا أعرض القلب بالكلية عن الخالق وأقبل على الخلق كان الغرق في الظلمة التامة، فالإعراض عن الحق هو المراد بقوله: ﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾، والإقبال على الخلق هو المراد بقوله: ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾

سكوت .. القرآن يتكلم!!

ولتتأكد كراهية الصحبة السيئة فتجتنبها وتهرب منها حكى القرآن لك قصتين:

✿ كان **عقبة بن أبي معيط** صديقًا حميمًا وخليلاً **لأمية بن خلف**، فأسلم عقبة فقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً فكفر عقبة، فنزل فيه قول الله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٨)

✿ سمع **الوليد بن المغيرة** رسول الله ﷺ يقرأ القرآن، فرجع وقد انبهر بما سمع حتى قالت قريش: صبأ الوليد، ولتصبون قريش كلها، وكان يقال للوليد ريحانة قريش، فقال **أبو جهل** : أنا أكفيكموه فمضى إليه حزينًا، فقال له **الوليد**:

ما لي أراك حزينًا ؟ فقال له: وما لي لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك، ويزعمون أنك تسمع كلام محمد وتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهما، فغضب الوليد وتكبَّر وقال: ألم تعلموا أني أكثركم مالاً وولدًا؟! وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل من الطعام ؟! وإنما أنتم تزعمون أن محمداً مجنون، فهل رأيتموه قط يُصرع؟ قالوا: لا والله.

قال: وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه نطق بشعر قط؟ قالوا: لا والله.

قال: فتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه كذبا قط؟ قالوا: لا والله.

قال: فتزعمون أنه كاهن، فهل رأيتموه تكهن قط؟ قالوا: لا والله.

فقالت قريش للوليد: فما هو؟ ففكَّر في نفسه ثم نظر ثم عبس فقال: ما هو الا ساحر! أما رأيتموه يُفرِّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ أي في أمر محمد والقرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول فيهما.

فانظر شؤم صحبة أمية بن خلف وأبي جهل وكيف أنهما حالا دون إسلام عقبة بن أبي معيط والوليد بن المغيرة وكانا سبب خلودهما في النار، وفهل بعد موعظة القرآن موعظة ؟! وهل بقي بعد كلام الله كلام؟!

باختصار

أخي.. أختي..

كان هدف الصفحات السابقة واضحاً، لكنني أزيده وضوحاً بأن أجمله في نقاط محددة:

- صديق السوء = فشل الدنيا وعذاب الآخرة.
- احرص على ما ينفعك لا ما يضرُّك.
- فكِّر بعقلك لا بقلبك.
- المحبة الحقيقية هي التي تنفع في الآخرة، أما المحبة التي تؤذي هنا وتُحرق هناك فهذه ليست محبة، بل كمين خادع يتوارى وراء ستار الحب، فخاطِب نفسك إذا رأيتها تدفع بك في الاتجاه الخاطئ وقل: هذا فراق بيني وبين كل صحبة تسحبني بعيداً عن الجنة إلى جهنم.

رابعاً

قصة الضياع في آية!!

قال الله تعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ
فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾

(الزخرف: ٣٦ - ٣٩)

وهذه الآيات الأربعة هي قصة الصحبة السوء من أولها إلى آخرها، من نشأتها إلى عـاقبتها، بكل فصولها وأحداثها، بطريقة غـاية البيان والإيجاز، وهي آيات محشوة بالدروس، وقد استخلصت منها عشرة دروس، تبـركًا بآيات القرآن في هذه الرسالة، واسترشادًا بأنواره إذا أظلمت الدنيا وتاه الدليل، وهي كما يلي:

١- أقسام القلوب:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ يشير إلى نوعين من أقسام القلوب المذمومة:

أ) القلب القاسي:

فقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ من عشي يعشى أي عمي، وهو أعمى البصر كقولهم عرجٍ لمن به آفة العرج، وهؤلاء هم أصحاب القلوب الميتة الذين لا تخطر الآخرة ببالهم، ولا يرد الحساب في حساباتهم، أحزانهم دنيوية، أفراحهم دنيوية، طموحاتهم دنيوية، حركاتهم وسكناتهم دنيوية، دنيا .. دنيا .. دنيا .. ليس لهم من الآخرة نصيب.

أو ..

ب) القلب المريض:



أو قال علماء اللغة أن ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ من عشا يعشو: وهو الذي يتكلف العمى وليس بأعمى ولا آفة ببصره، كقولهم عَرَج لمن تعارج وهو سليم فمشى مشية الأعرج، وهو هنا الذي يُعرِضُ عن ذكر الله إلى غيره من الملهيات والشهوات، ويتعامى عن الخير إذا نزل به وكأنه لم يمر به.

وهو مأخوذ من العشو وهو البصر الضعيف، كمن يذكر الله لكنه لا ينظر بقلبه في القرآن، فلا يتدبر معانيه ولا يرغب في الانتفاع بآياته، فشبَّه الله سامع القرآن دون انتفاعه به بالأعشى ضعيف البصر.

٢- رحمة الذكر:

﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ : لكن.. لماذا اسم الله الرحمن هنا؟!

والجواب:

إشارة إلى أن آثار رحمة الله محيطة بهم من كل جانب ومع ذلك لا يبصرونها، وتتنزَّل عليهم كل ساعة ومع ذلك ينسون الله ولا يذكرونه!!

وإشارة أخرى:

أن الله أنزل الذكر رحمة بالناس وخيراً لهم، فواعجبا لهم!! كيف أعرضوا عن دوائهم إلى دائهم، وتركوا من بيده كل خير إلى من يريد الفتك بهم، لكن.. لم كان ذكر الله رحمة؟!

والجواب:

لأن عكس الذكر الغفلة، والغفلة عن أسباب النجاة هلاك، وعن طريق النجاح فشل، فمتى غفل العبد عن ذكر ربه فقد أضاع نفسه دنيا وآخرة، ومن أعرض عن أسباب الرحمة خاض ولابد في لجج العذاب.



٣- مواجهة الله:

﴿ نُقَيِّضْ ﴾ والنون هنـا نون التعظيم: إشارة إلى المواجهة الصريحة مع الرب سبحـانه، والحرب بين الرب جل في علاه الذي يشتد غضبه على من أعرض عن ذكره ونسيه والعبد الضعيف الذي لا يملك حتى نفع نفسـه أو ضرها، وقد فضح لنا صورة المعصية على حقيقتها **الحسن البصري** حين قال:

"ويحك يا ابن آدم!! هل لك بمحاربة الله طاقة؟!
إنه من عصى الله فقد حاربه".

٤- عقوبة الدنيا:

﴿ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا ﴾، وكلمة ﴿ نُقَيِّضْ ﴾ فيها وجهان، فهي إما من:

جـ) عملية المقايضة:

والحياة كلها عبارة عن عملية مقايضة، يُقايض فيها الإنسان حياته بسلعة أخرى يستلمها في الآخرة: الجنة أو النار.

وهنا عملية مقايضة واضحة، ذلك أن العبد الذي أعرض عن ذكر ربه قايض ما وقع فيه من غفلة، ودفعه ثمنًا ليشتري به رفقة شيطان رجيم لا يفارقه، وبئس ما اشترى!!

د) أو هي من القيض وهو قشر البيض:

أي نسلِّط عليه شيطانًا يستولي عليه استيلاء القيض على البيض، فلا يستطيع التخلص منه أو الفكاك، ولا يستطيع شعاع نور أو هداية أن يتسلل أو يخترق هذا الحصار ليصل إلى القلب.

وهذا الشيطان شيطان جن يستعين بشياطين إنس ليعاونوه ويحاصروا الضحية فلا يجد مهربا، وكلا النوعين من الشياطين يتبرؤ منهما الخاسرون

يوم القيامة قائلين:

﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾

(فصلت : ٢٩)

وقولهم ﴿أَرِنَا﴾ كناية عن إرادتهم الانتقام منهم، وهل يُجاب لأهل النار طلب ؟! وحتى لو أُجيبوا إلى ذلك ما نقص ذلك من عذابهم شيئًا ولا شفى من صدورهم غيظًا.

وهذا الشيطان شخصي مخصص لكل عبد مُعرض عن الله باسمه ووصفه، وما سُلِّط هذا الشيطان على العبد لاحقًا إلا عقوبة له لإعراضه عن ذكر ربه سابقًا، فهو الذي ابتدأ الإساءة أولاً، والبادي أظلم!!



وكأن الشياطين محيطة بالإنسان من كل جانب لا يحميه منها ويقيه شرورها إلا رب رحيم، فإذا أعرض العبد عن ذكر ربه غضب ربه غضبًا شديدًا، وخلى الله بينه وبين الشياطين، فدخلت عليه من كل باب.

وإذا تسلَّطت الشياطين على العبد فهل يقع في غير ذنب؟! فهل عرفت الآن لماذا قيل: عقوبة المعصية المزيد من السيئات.



٥- عقوبة الآخرة المرعبة:

﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾

وهذا الاقتران يكون في الدنيا بالوسوسة والمشورة الخبيثة وتزيين السوء، ويمتد إلى الآخرة، وهي الأشد، ذلك أن عبد السوء إذا بُعث يوم القيامة من قبره جُعل في قيد واحد مع شيطان، فلا يفارقُه حتى يصيرا سويًا إلى النار، وهذا الشيطان وإن غابت عنا صورته في الدنيا

سيتجسد أمام أعيننا في الآخرة في أبشع صورة، هذه الصورة التي أخبر ربنا أن مجرد النظر إليها لون من ألوان العذاب في النار اسمه: العذاب البصري، فقال عن شجرة الزقوم:

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (الصافات: ٦٥)

فالمُعرِض عن ذكر ربه مهدَّد بالحشر في سلسلة واحدة مع أعدى أعدائه رأس الكفر وحامل لواء الضلال: إبليس.

٦- بيع الوهم:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

تهت أثناء رحلتك، فوجدت رجلاً في الطريق فسألتـه: فسلك بك طريقا آخر غشّاً وخـديعة، وأنت تحسب أنك سـائر إلى هدفك، ثم هو لا يـدعك تفيق، أو تسأل غيره لتتبين أنك مخطئ فتــرجع: إنما يوهمك أن سائر في الطريق القويم! حتى تصطدم في النهاية بالمصير الأليم.

وهذا أبشع ما يفعله أي صاحب سوء بصاحبه، وإذا أردت أن تعرف هذا المعنى فارجع إلى اسم السورة وتأمله: الزخرف.

ومهمة الشيطان جنًا كان أم إنسًا تجاه كل خير أن يلقي في قلب صاحبه مشقته دون رؤية ثوابه ليصده عنه، مع عدم الاكتفاء بذلك بل يريه أيضا أنه بذلك يفعل عين الصواب، وهي حيلة أبليسية قديمة أن يجعلك تعصي الله على الطريقة التي تظن أنك تنال بها الثواب.

يقول الدكتور **مصطفى السباعي** وهو يضرب ثلاثة عشر مثلاً لهذا النوع من المكر:

" إني لا أخشى على نفسي أن يغريني الشيطان بالمعصية مكاشفة، ولكني أخشى أن يأتيني بها ملفعة بثوب من الطاعة.

✿ يغريك الشيطان بالمرأة عن طريق الرحمة بها.

✿ ويغريك بالدنيا عن طريق الحيطة من تقلباتها.

✿ ويغريك بمصاحبة الأشرار عن طريق الأمل في هدايتهم.

✿ ويغريك بالنفاق للظالمين عن طريق الرغبة في توجيههم.

✿ ويغريك بالتشهير بخصومك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

✿ ويغريك بتصديع وحدة الجماعة عن طريق الجهر بالحق.

✿ ويغريك بترك إصلاح الناس عن طريق الاشتغال بإصلاح نفسك.

✿ ويغريك بترك العمل عن طريق القضاء والقدر.

✿ ويغريك بترك العلم عن طريق الانشغال بالعبادة.

✿ ويغريك بترك الجهاد عن طريق حاجة الناس إليك.

✿ ويغريك بترك السُّنّة عن طريق اتباع الصالحين.

✿ ويغريك بالاستبداد عن طريق المسؤولية أمام الله والتاريخ.

✿ ويغريك بالظلم عن طريق الرحمة بالمظلومين".



٧- الكيد المستمر:

والتعبير بالفعل المضارع: ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ ﴾، ﴿ وَيَحْسَبُونَ ﴾.. إشارة إلى أن عملية الإضلال قائمة ومستمرة على أشدها حتى آخر لحظة من لحظات الحياة: وهي واضحة للعيان يراها الجميع إلا الضالون السائرون إلى حتفهم وهم لا يشعرون.

٨- وقفة الحساب:

وقوله عز وجل:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾

وفي قراءة: حتى إذا (جاءانا) على التثنية يعني ابن آدم وقرينه.

وحرف (يا) أصله للنداء، ويستعمل للتلهف كثيرًا كما في قوله:

﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ (يس: ٣٠)

وهو هنا للتلهف والتندم، وكراهية رؤية من كان سبب الخسارة والعذاب.

وكلمة ﴿ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ ﴾ تعني المشرق والمغرب كقولهم: القمرين للشمس والقمر، والبصرتين للكوفة والبصرة، والعصرين للغداة والعصر، والعمرين لأبي بكر وعمر، والأسودين للماء والتمر، وذلك على التغليب.

وكلمة ﴿ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ ﴾ قمة البلاغة والإيجاز لأنها تعدل قولك: بُعد المشرق من المغرب، والمغرب من المشرق، فنابت كلمة واحدة عن ست كلمات.

والكلام يدل مرة ثانية على لون من ألوان العذاب البصري في الآخرة: وهو أن يعذَّب العبد برؤية من كان سببًا في ضلالته وقد امتلأ منه كراهيةً وحقدًا حتى ما يُطيق النظر إليه.

وفي الكلام إشارة إلى كلام مطوي تقديرُه: أن الفريقين حضرا للحساب أمام الله، وتكلما بين يديه سبحانه، ولما حدثت المواجهة تبرأ كل واحد من الآخر هروبًا من المؤاخذة والعذاب، لكن هيهات:

﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٨)

٩- عموم العذاب لا يعني تخفيفه:

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾

ولما كان عموم البلوى في الدنيا يهوِّن من وقعها ويخفِّف من أثرها، فقد حرم الله أهل النار هذه النعمة، فلا يحصل للمعذَّب أي فرح ولا يجد

أدنى راحة بعذاب قرينه معه، ولو عُذِّب الكون كله معه لما حصل له بذلك تخفيف ولا تسلية.

١٠- أهم الدروس:

قال الإمام **ابن القيِّم**: كل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته ابتُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته. قال تعالى:

﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾

والله تعالى يقول:

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ (البلد: ٤)

ورسوله ﷺ قال:

«كـــل النــــاس يــغــــدو».

فالتعب حاصل، والغدو من كل واحد واقع لا محالة، فلماذا لا يكون في الخير، ونحو الجنة، وإلى الفوز العظيم والنعيم المقيم؟!

العمل واحد لكن الفارق شاسع، الأول دون ثواب والآخر بأحلى ثواب، الأول مقابله زائل والثاني دائم، فهل قلبك معلق على غصن من أغصان الجنة أم لا زال يعالج أشواك الدنيا.

و**المتنبي** بحس الشاعر أدرك هذا من قبل فقال:

وإذا لم يكن من الـمـوت بدّ فمن العجز أن تكون جبـانًا

هي موتة واحدة إذن فلتكن في سبيل الله، وروح واحدة فلنشترِ بها الجنة، ومال مبذول شئنا أم أبينا فليكن في سبيل الآخرة.

خامساً

كيف تكسب صاحباً؟!

١- حب أول نظرة:

قال رسول الله ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**».

فهذا هو المفتاح الأول على طريق الصحبة، وهو لازم وضروري، وقد يتواءم اثنان من غير سابق معرفة، ويتآلفان وكأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن، وقد يتعادى اثنان مع أن معرفتهما ببعض قديمة، فلابد من هذا القبول النفسي والراحة الداخلية لابتداء علاقة الأخوة القوية.

٢- وحدة الهدف والاهتمام:

بعدَ الاندماج الروحي يأتي العامل الثاني لحصول المحبة وهو وحدة الهدف والاهتمامات، فمما يساعد على الألفة والمحبة أن يجمعك بإخوتك همٌّ واحد، من همِّ الفوز بالجنة والنجاة من النار، أو همِّ هداية الخلق، أو همّه نصرة الدين، أو غيرها من هموم الهمم العالية والقلوب السامية، وبهذا تتوحَّد الأنساب وتتعانق الأرواح كما قال **أبو تمام**:

إن نفترق نسباً يؤلِّف بيننا ... أدبٌ أقمناه مقام الوالد
أو نختلف نسباً فالوصل منا ماؤه ... عذب تحدَّر من غمام واحد

٣- حسن الخلق:

فلا تصحب من ساء خلقه، وأهم الأخلاق المطلوب تواجدها في الإخوان:

✿ **الإيثار:** يحب لأخيه ما يحب لنفسه، قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه**». صحيح

قال علي رضي الله عنه:

إن أخـاك الحقُ من كـان معك ومـن يـضُـرُّ نـفسـه لينـفعـك
ومن إذا ريبُ الزمـانُ صدعـك شتـَّت فيـك شمـلـهُ ليجمعك

وقد غرس القرآن هذا الخُلق النبيل في قلب كل مسلم، فجاءت آيات القرآن لتؤكد أن:

✿ **قتل الرجل لغيره هو قتل لنفسه:** قال عز وجل:

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (النساء: ٦٦)

أي ليقتل كل منكم أخاه.

✿ **وظن العبد بغيره السوء ظن بنفسه:** فقال عز وجل:

﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور: ١٢)

✿ **ولمز الغير لمز لنفسه:** فقال عز وجل:

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (الحجرات: ١١)

والإنسان لا يلمز ولا يعيب نفسه.

✿ **والسلام على الغير سلام على نفسه:** فقال عز وجل:

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾

(النور: ٦١)

والمعنى: فليسلم بعضكم على بعض.

وكل هذا ليقوِّي شعور المسلم بأخيه ويزرع في قلبه حب الآخرين، فيتألم لألمهم، ويسعد لسعادتهم، فالكل في واحد والواحد في الكل.

✿ **عدم الحسد:** فلا يحسد أخاه في دين ولا دنيا، بل يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وقد مدح الله تعالى الأنصار بقوله:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩)

✿ **عدم الحرص على الدنيا:**

أي خير في صحبة من كل همومهم دنيوية؟! ما فرحوا يومًا لتحصيل طاعة، ولا بكوا لوقوع ذنب أو تحسَّروا لضياع فرض، أكثر ما يسعدهم: دنيا، هذه الدنيا العابرة التي وصفها ربنا ووضعها بجوار الآخرة في سطر واحد بقوله:

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ (العنكبوت: ٦٤)

٤- الإعانة على الطاعة:

"هيا بنا نؤمن ساعة" ورفقة:

"هيا بنا نبك من خشية الله، فإن لم نجد بكاءً تباكينا".

هؤلاء الذين تلتقي معهم على تلاوة قرآن، أو ذكر، أو مساعدة مسكين، أو أمر بمعروف، أو تواصي بحق، لتضع الخاتم الإيماني المميز والعلامة المسجلة على هذه العلاقة المباركة.

٥- الاستبدال الفوري:

كثير من الشباب اليوم له صحبتان، صالحة وأخرى غافلةٌ، وهذا لن يتقدَّم أبدًا، كمن يدور في ساقية الماء، يبدأ من حيث انتهى، وينتهي من حيث بدأ، وكلما تقدم ناحية الجنة توقف، وكلما طمح بقلبه للعلا جذبته رفقة السوء أو الغفلة إلى الأسفل، يشكو التذبذب في الالتزام، فلا هو مع الصالحين سما، ولا هو مع العصاة هوى، وهذا لا حل أمامه إلا بعملية الاستبدال الفوري، فلا يُتخلص من صحبة السوء إلا عن طريق إزاحتها بصحبة الخير.

أخي ..

لن تقوى على التخلص من صحبة السوء التي لازمتك سنين عددا إلا بعد أن تتمتع بنوعين من الحماية:

حماية بشرية:

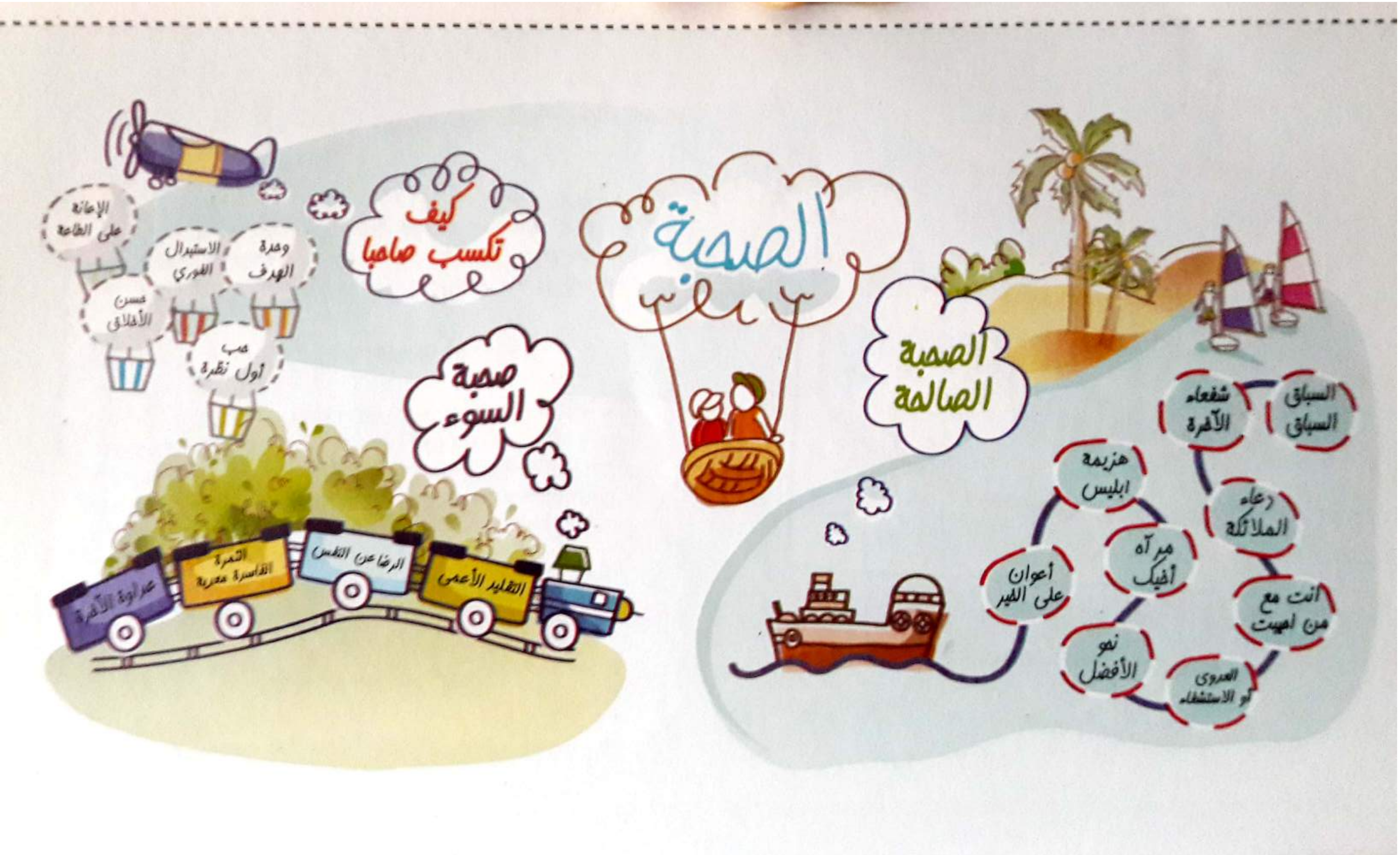
وأعني بها التترس بالصحبة الصالحة، لأن النور يطرد الظلام، وأنت الذي بيدك أن تفتح قلبك للنور أو تغلقه، والمفتاح: صحبة.

حماية مكانية:

إن اضطررت إلى إبرام موعد مع أصحاب الأمس فاجعله في المسجد، وأسوار بيت الله تحميك وبركته تُقوِّيك، ولا تتنازل عن ذلك مهما كانت الأسباب.

٦- إزالة المنكر أو الزوال عنه :

قد يوهم الإنسان نفسه أنه وسط صحبته القديمة قد يستطيع التغيير والإصلاح، لكن هذا مشروط بقوة الإيمان وإمكانية التأثير في من حولك، وإلا فرحم الله عرف قدر نفسه، وإن لم تؤثّر إيجابياً فستتأثر سلبياً لا محالة.


الصحبة
كيف تكسب صاحبا
صحبة السوء
الصحبة الصالحة
الإعانة على الطاعة
الاستبدال الفوري
وحدة الهدف
حسن الأخلاق
حب أول نظرة
عداوة الآخرة
الثمرة الخاسرة معنوية
الرضا عن النفس
التقليد الأعمى
السباق السباق
شفعاء الآخرة
هزيمة ابليس
دعاء الملائكة
مرآة أخيك
أعوان على الخير
أنت مع من أحببت
نحو الأفضل
العدوى
الاستشفاء

من سهام المواعظ (1)

١. احفظ بصرك! فكم من نظرة نقشت في القلب صورة استحال محوها وطال عذابها!!

٢. البدار البدار إلى التوبة قبل الفوات، والحذر الحذر من عاقبة السيئات!

٣. آه لنفس قبلت نصيحة العدو، وردت وصية الولي:

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾

٤. جدد توبتك: الاعتراف يمحو الاقتراف: التوبة اعتراف يمحو اقتراف الذنب.

٥. المستيقظ وقت ينام غيره يفوز بأرباح لا ينالها النوام، والتجربة خير برهان..

٦. لا يطرد الشهوة من القلب إلا أحد اثنين: خوف من النار يزعجك، أو شوق إلى الجنة يقلقك، وبدونهما لا دواء ولا شفاء!

اجعلنا منهم يا رب!!

٧. هل ينام أهل القبور كما ننام؟! لا نوم في القبر، إما نعيم أطار النوم من الأجفان، وإما عذاب يشوي الوجوه والأبدان.

٨. أحد إخواني نجا من الغرق بعد أن أوشك على الموت. شريط حياته مر عليه كلمح البصر. كان معه صاحب له غرق أمامه.. الموت أقرب إلى أحدكم من شراك نعله!

٩. احذر وأنت تلبس ثيابك النظيفة متجها إلى عملك أو دراستك: كم من مبيِّض لثيابه مدنس لدينِّه!!

١٠. طلب قوم الراحـة في الدنيـا فلهم التعب في الآخرة، وتعِب قومٌ هنا فاستراحوا هناك.

١١. اليوم دمعة واحدة تنسف آلاف الذنوب، وغدا لو بكوا الدماء ما أغنت عنهم شيئًا.

١٢. قراءة السيرة زيارة!!

زرت رسول الله بقراءة سيرته، فبأي هدية رجعت؟

وهل عدت معطَّرا بعبير أعمالٍ زكية من أثر الزيارة وزيارة الأثر؟

يا أخي .. اقرأها بقلبك!

١٣. هجمة مرتدة !! لو أن كل من أضاع صلاة الفجر صام هذا اليوم إتباعا للسيئة بالحسنة لانخذل الشيطان وتجدّد الإيمان وازدحمت المساجد بالمصلين فجراً.

١٤. يعظم الهم باعتمادك على نفسك ويتلاشى باحتمائك بربك

١٥. صل الفجر مرتين!! إلى كل مستيقظ لصلاة الفجر.. أيقظ أخا لك للصلاة تنل مثل أجره.

١٦. يا كثير السبات.. يا طويل الرقدات.. ألا يشبعك القبر ترقد فيه آلاف السنين؟! ألا يكفيك؟!

١٧. رحلة البحث عن قلب تاه وسط الزحام!

١٨. قال سفيان بن عيينة: إن الرجل ممن كان قبلكم ليلقى الرجل العاقل فيكون بعقله عاقلا أياما. اللهم ارزقنا الليلة لقاء العقلاء!!

١٩. ذهاب البصر أهون من ضياع البصيرة.

٢٠. النصيحة مُرَّة لا يقبلها إلا أولو العزم من الرجال.

سلامة قلبك

كيف تتعامل مع نبضات قلبك ومشاعر حبك؟ كيف تخرج من هذه التجربة سليما معافى بدلا من أن يزورك الناس في بيتك مصابا جريحا يواسونك قائلين: سلامة قلبك.

الحب .. العاطفة .. الشهوة .. الصحوبية والزمالة مع الجنس الآخر .. وأثرها على سلامة القلب وأوجاعه .. كل هذا وأكثر تجده بين ثنايا هذه الصفحات.

الحب هو العاطفة الرائعة والوقود الذي يزوِّد القلب ليبحر بسفينة الجسد في بحر الدنيا حتى تبلغ أهدافها، أيًا كان هذا الهدف، لذا سعى إلى غرسه في النفوس الأنبياء والمرسلون، ولهج بذكره العابدون، وأوصى به الأطباء والمصلحون.

أخي..

خلق الله قلبك لمحبته، وهل العبادة غير كمال الحب والخضوع ؟! لكن الحب اليوم اختُزل في شهوة ونزوة وعلاقة عابرة بين رجل ومرأة، وتعرَّض لحملة تشويه منظمة أوصلته حد المسخ بسبب الفضائيات والمسلسلات التي علَّمت الشباب الزيف والكذب، وربطت عندهم الحب بالجنس، واستهدفت الفطرة السليمة ليقلبوها رأسًا على عقب ويغيِّروا خلق الله.

ولأن

- قلبك رأس مالك وهو منبع معنوياتك وسر سعادتك أو تعاستك.
- ومن أجل أن تحيا سعيدًا بالحب الحقيقي وتتذوَّق العاطفة الرائعة.
- ولأني لا أريدك أن تواجه العاصفة وحدك.

فقد رأيت أن أبعث إليك بهذه الرسالة لتتسكب معانيها من قلبي إلى قلبك، فتكون نعم العون لك، ونورًا على طريق العاطفة الجياشة التي يتمتَّع بها أي شاب أو فتاة، وتزيل الغشاوة من على بصيرته.

1×3

هذه رسالة شبابية جديدة ثلاثية الأهداف باعتبار أنها وُضعت لتعالج عندهم ثلاث قضايا كبرى:



- **الصحوبية بين الشباب والبنات:** وهي الشلة المختلطة التي تخرج وتتنزه دون اعتبار لفوارق أو حواجز بين الجنسين.
- **الحب والعشق:** وما يتبع ذلك من معاناة القلب وانشغال البال وشرود الفكر ومن ورائه الشرود عن

الحق.

- **انفلات الشهوة وإلحاح الغريزة:** وما يصاحبهما من عادات سيئة وتصفح للمواقع الإباحية ومطالعة للمجلات العارية والانغماس في مستنقع الشهوة.

العقبة الأولى

الصحوبية

أشار **الإمام الرازي** رحمه الله إلى درجات المحبة في شرحه لقوله تعالى عن **سليمان** عليه السلام:

﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ (ص : ٣٢)

فقال أنه يدل على أمور ثلاثة مرتبة:

أولها : أنه يشتهي الخيل وهي الخير في الآية، **وثانيها :** أنه يحب شهوته لها، **وثالثها :** أنه يعتقد أن تلك المحبة حسنة وفضيلة، فإذا كان هذا المحبوب خيـرًا فهذا من تمـام توفيق الله لعبده، وإن كان المحبوب شرا فهذا من أعظم البلاء في الشدة والقوة، ولا يكاد ينحل إلا بتوفيق عظيم من الله تعالى.

وهذه هي مشكلة الزمالة أو الصحوبية: أن الشاب أو الفتاة يحب كل منهما هذه العلاقة ويشتهيها، ويحب كونه يستمتع بالخروج والفسح وإن كان فيها الحرام، بل يرى بعضهم أن هذه العلاقة صحية وظاهرة إيجابية، وحين لا يعلم المريض أنه مريض لا يبحث عن العلاج، ويستمر في خطئه.

فهي الغفلة واعتياد الذنب يؤديان إلى قسوة القلب وتراجع الفطرة، وبالتالي لا يشعر المخطئ أنه مخطئ، لذا كان هذا الدعاء لازما مُلحًا طوال رحلتنا عبر هذه الرسالة:

اللهم أرني الحق حقا!!

الخطوة الأولى والمقدمة اللازمة لقبول كلامي هنا هي رؤية الحق وتمييزه عن الباطل، بمعنى : هل لا ترى بأسًا في الخروج مع فتاة ؟! والتنزه والغداء والعشاء مع الشلة المختلطة ؟! هل هي **(علاقة بريئة)** و **(صداقة طبيعية)** و **(بلاش عُقد)** و **(كل شباب النهارده كده)** ، ما دمت **(ما بعملش حاجة**

غلط ولا حرام)!! وحتى إذا اعترف بالخطأ قال: (**خطأ نعم .. لكنه ليس جريمة**).

أخي..

حدِّد ما تراه بوضوح، فعلى هذا الأساس تتبني خطة العمل واتجاه التحرك، ومن أكثر المبرِّرات شيوعًا في تمرير هذه العلاقة أنها:



زمالة بريئة

هذه العلاقة لا تتعدى الصداقة والزمالة البريئة.. هذا ما يُقال، ولكن ما يُدري كلا الطرفين أن الآخر لن يطوِّر هذه العلاقة ولو من طرف واحد؟ ذلك أن اجتماع الشاب والفتاة وإزالة الحواجز بينهما وكثرة احتكاكهما يؤدي حتمًا إلى الألفة، والألفة الطويلة لابد وأن تؤدي إلى التعلق القلبي الذي يبدأ خفيفًا، ثم ينمو كلما طال الزمن حتى يشتد ليصبح الفراق بعدها مستحيلاً، وبهذا تتطور العلاقة التطور الطبيعي بين أي شاب وفتاة إلى أن تكون حبًا تُغذيه مشاعر المراهقة ويزيِّنه الشيطان ويساعد عليه عدم التمييز بين عاطفة الحب والإعجاب، ويكبّره وينمِّيه متعة التجربة الجديدة.

عُرف السبب فبطل العجب!!

لماذا الميل إلى أن تكون في شلة البنات ولاد وفي شلة الولاد بنات؟ دعونا نتصارح:

١- الراحة واللذة:

يجد الشاب في هذه العلاقة الراحة والتسلية، إذ ينشرح صدره وينسى همومه وهو يأنس بهذه المحادثات والمناقشات.. هو لا يبحث عن حل ولا يهمه أن يصل إلى دواء.. وإنما يريد أن يفرِّغ همّه فحسب، وليس أحسن من فتاه يفضفض لها، وليس مهمّا أن تكون هذه الفتاة جميلة، وإنما هي -**كفتاة**-

ستوصله إلى مراده وتحقق غايته من تسلية النفس والاستئناس الفطري بالجنس الآخر، سواء كان ذلك وجهًا لوجه أو عبر الهاتف أو عن طريق الشات، وهذا الأنس مُركَّب في طبع الرجل تجاه المرأة، وطبع المرأة تجاه الرجل، لأن شهوة أساسية من شهوات الرجل تجاه النساء: شهوة المجالسة والمحادثة!!

ويقابل ذلك عند الفتاة تحقيق الشعور بالذات وزيادة الثقة بالنفس، نتيجة لطلب الشاب صحبتها.. كلّ هذا في إطار من التظاهر والتجمل والتمثيل.

٢- التعرف على المجهول!!

ومن مبرِّرات إنشاء هذه العلاقة أن الشباب يحسبونها ضرورة لازمة للتعرف على الطرف الآخر قبل الزواج، وإلا كانت الزيجة فاشلة لأنها زواج من (مجهول)، وللرد على هذا أقول:

لأن الله أدرى بمن خلق، فقد وضع الإسلام العظيم عدة ضمانات للتعرف على هذا (المجهول)، فجعل:

أربعة ضمانات

الضمان الأول: القبول المبدئي وتآلف الأرواح علامة أولى « **الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف** ».

الضمان الثاني: الاستخارة لإلقاء نفسك بين يدي الله ييسِّر لك الأمر إن علم فيه الخير لك وإلا صرفه.

الضمان الثالث: الاستشارة خاصة ممن رشَّح لك الزواج من هذا الشاب أو الفتاة ليبصِّرك بطباعها ويخبرك بظروف بيتها وعلاقتها بأهلها مما يجعل الصورة أوضح.

الضمان الرابع: الخطبة لتتمِّ هذه المعرفة من غير معصية تُغضب الرب أو تجاوز للحرمات ينزع البركة.

وبهذه الضمانات الأربعة يحدث التعارف الكامل ونصل إلى الغاية المنشودة...



٣- إثبات الذات :

أريد أن تُثبت بدخولك في هذه العلاقة أنك دخلت طور الرجولة أو أنك بدأت مرحلة الأنوثة التي تلفت الأنظار وتستدعي الإعجاب، وأن عهداً جديداً قد بدأ لا سلطان لأحد فيه عليك.

٤- التقليد الأعمى :

ما أصعب السير عكس الطريق وضد التيار، وقد فطر الله الإنسان على التـأثر بغيره وتقليد البيئة المحيطة به، وخاصة في مراحل تكون الشخصية والنضج العقلي والعاطفي، مع ملاحظة أن معيار كثرة المترددِّين على الأمر لا يُعدُّ دليلاً على صحته ولا مبرِّراً للإقدام عليه، ذلك أن حالة التدهور الأخـلاقي والاضمحلال الإيماني والتآكل القيمي زحفت على القلوب رويداً رويداً على مدار سنين طويلة: حتى عبثت بالفطرة السوية وزيَّنت لها المنكر، وأبطلت دفاعات القلب ضد الحرام، مما جعلنا نلتمس المعيار الصحيح من الشيء الوحيد الذي لم يتغيَّر ولن يتغيَّر: الوحي الإلهي، فهو سبحانه الأدرى بما ينفعنا ويصلحنا:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤)

وقد وضع لنا من المبادئ والآداب الأخلاقية التي تضمن تحقيق الأهداف السامية لعلاقة الرجل والمرأة، وتستبعد الممارسات الفوضوية للعلاقة بين الجنسين، وهي ما يمكن أن نعتبره:

صمامات الأمان

ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- ✿ أمر الله عز وجل بغض بصر الذكر عن الأنثى والأنثى عن الذكر ليقطع الطريق على وسائل الإثارة في النفس البشرية.
- ✿ أوجب الحجاب على النساء ليحارب أسباب الفتنة من جذورها.

✿ حرِّم على الرجل الخلوة بالمرأة الأجنبية عنه حتى وإن كانت ملتزمة بالحجاب إلا بوجود أحد محارمها، وقد تكون الخلوة ناقصة عن طريق التحدث في الموبايلات والشات عبر النت لأنه يتيح لكل من الطرفين التكلم دون رقيب، ليبث الفتى والفتاة ما يريدان من مشاعر وأحاسيس، فيكون الاستلطاف أولاً، ثم الاستئناس ثانيًا، ثم التعود وصعوبة الانسحاب والإدمان ثالثًا ورابعًا وخامسًا.

✿ شرع الاستئذان للدخول على البيوت صيانة للحرمات وحماية للعورات:

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (النور : ٢٨)

✿ جعل الله الحياء قرين الإيمان، فقال ﷺ: «**إن الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر**». صحيح

وخصَّك به يا أختاه حتى وُصف النبي ﷺ بأنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها.

والحياء خلق ينشأ من مشاهدة العبد لكثرة نعم الله عليه مع تقصيره في شكر هذه النعم، وحين قيَّد الله جوارحك فقد فعل ذلك لمصلحتك، وضبط سلوكك من أجل منفعتك، ومع هذا تخالف أمره وتعصيه!!

وكل ما سبق من هذه الضوابط يُهمل ويوضع جانبًا بل ويُعتدى عليه تحت مظلة "**الزمالة البريئة**".

وحين تستمر علاقة الزمالة وتطول تؤدي ولابد إلى الظاهرة الثانية والعقبة الأصعب والمشكلة الأكبر وهي:

العقبة الثانية

أشواك الحب

غالبًا ما يقع الحب في سن المراهقة وعنفوان الشباب، وسببه فطري بحت وهو أنها مرحلة نمو واكتمال الشخصية، وبروز الرغبة الحقيقة في وجود شريك آخر كشخصية مُكمِّلة لك، ومن ذلك تنشأ الرغبة في الكلام مع الجنس الآخر لاستكشاف هذا الكائن الجديد، والدخول معه في أفق الغواية الساحرة التي تقودك في الظاهر إلى عالم البهجة والمتعة.

وكأن الشاب بسلوكه يقول لمن حوله:

أريد أن أثبت لكم أنني أحب، وأنني كبرت بما فيه الكفاية لأحب، وأنني جدير بأن تُبادلني فتاة أخرى مشاعر هذا الحب.

هذه العاطفة موجودة يا شباب في نفس كل إنسان سوي، وفطرة غرسها الله فينا ليحفظ النسل ويقيم الحياة وضمان استمرارها على وجه الأرض، ومن الحماقة كبتها أو تجاهلها، ولكن الصواب يقتضي توجيهها في الاتجاه الصحيح، وإدراك خطورتها إن تُرِكت بغير ضوابط، شأنها شأن كل الغرائز التي خلقها الله لتستقيم الحياة، فإذا لم تستقم بضوابط الشرع تحولت الحياة إلى فوضى، كغريزة حب التملك الضرورية لدفع عجلة الحياة، لكنها إذا توحَّشت دفعت إلى السرقة والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل.

وسأعرض هنا لآثار الحب السلبية إذا خرج عن الإطار الإلهي والسلوك السوي سواء كانت إيمانية أو دنيوية، وهي:

١- العمى التام:

قديمًا قالوا: (**حُبك الشيء يعمي ويصم**)، وحديثًا يقولون: (**مرآة الحب عمياء**)، وصدقوا.. فالحب يُعمي القلب عن رؤية مساوئ المحبوب وعيوبه، ويصم أذنه عن الإصغاء إلى أي رأي آخر فيه، فلا تسمع الأذن غير ما تحب أو تريد سماعه عن من تحب، وكم من رجل أحب امرأة على ما فيها من عيوب، وامرأة أحبت رجلا على دمامته أو سوء خلقه.

والرغبات تستر السوءات، فالرغبة في الشيء تجعل المرء أعمى عن عيوبه، حتى إذا حازه وملكه زهد فيه بعد أن أبصره على حقيقته، ودخل فيه ثم خرج منه فرآه على حقيقته.

خداع إبليس

وليته كان العمى وحده بل رؤية عكس الصورة وخلاف الحقيقة، فالأبيض أسود حالك!! والأسود أبيض ناصع البياض!! وهو قول الله تعالى:

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (العنكبوت: ٣٨)

فيزيِّن الشيطان قبل الزواج العلاقة بين الشاب والفتاة، ويظل يُحليها لهما، ليُشعرهم أن الفردوس المفقود في الانتظار، ويُعمي كل منهما عن عيوب الآخر، وكل هذا ليعطيهم الشيطان طرف الخيط في أيديهم ثم يكبهم به على وجوههم في شباك العشق وفخ الحرام.

وعلى النقيض يكون أول مهمة لإبليس بعد الزواج: التفريق بين المرء وزوجه حتى يسهِّل عليهما الوقوع في الحرام ويصعِّب الحلال، وبهاتين الطريقتين تشيع الفحشاء في المؤمنين: تزيين الحرام قبل الزواج مع تحطيم العلاقة بعده:

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ (البقرة: ٢٦٨)

وهو ما يدفعنا إلى النتيجة الحتمية التالية:

٢- شبكة الاختيار المضلِّل:

تصوِّر الأفلام والمسلسلات الغربية وعلى إثرها العربية حب الرجل في حب المرأة على أنه سقوط حتى انتشر تعبير السقوط في الحب LOVE FALL IN، وهو تعبير ذو إيحاءات خبيثة منها:

- الحب يتم دون إرادتك تماما كمن يسقط في حفرة أو فخ دون أن يقصد.
- الحب لا يخضع للمنطق أو التعقل والسلوك الإرادي بل هو سلوك لا إرادي بحت.
- لا يمكن صرف الحب أو طرده عن القلب، فلا تتعب نفسك في محاولات التغلب عليه أو تفاديه والهروب منه، كل ما عليك أن تفعله هو أن تتبع قلبك FOLLOW YOUR HEART.

كل ما سبق يدفع الراغب في الزواج إلى الاختيار المضلِّل ولا يمنحه فرصة الاختيار الصحيح، لأنك في الحقيقة عشقت الصورة فحسب دون نظرك إلى جوانب الشخصية الأخرى، وهي غالبًا ما تكون نظرة منقوصة وصورة مقصوصة.

الحب الحقيقي

اختيار يخضع للعقل والمنطق، وأما غير ذلك فليس حبًا بل شهوة يستوي فيها الإنسان والحيوان، فالحيوان يميل إلى الأنثى كما الإنسان، لكن الإنسان كائن عاقل يقدر على ضبط نفسه ويتسامى على غرائزه ويتعلم أن يحب بمعزل عن الغرائز ويزن بذلك الأمور بصورة شاملة، فلا يقع في فخ "الجمال الخلقي على حساب "القبح" الخُلُقي والطبعي.

٣- فشل الزواج إن حصل:

لماذا تنتهي كثير من زيجات الحب بالطلاق؟!

الجواب: سببان:

الأول إيمـــاني: وهو كيف يبارك الله قلبين تدنسا بالعلاقات الآثمة والكلمات المختلسة واللقاءات التي تُغضب الرب، وهو سبحانه وحده من يطرح البركة أو ينزعها، ويؤلِّف بين القلوب أو يلعنها، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل.

والثاني مادي: وهو التدليس المتعمَّد أو غير المتعمَّد. فالعـاشق قبل الزواج يُبرز أجمل ما فيه ويخفي كل مساويه، فإذا وقع الزواج كانت كل حسناته قد نفدت، ولم يبق سوى العيوب وحـدها تظهر واحدة تلو الأخرى، لتكتشف أنت وهي أن كل منكما قد تزوج بإنسان آخر!!

الحبيب كالبدر الذي أفرط في علوه، وضوؤه الرائع البهي هو الذي يهدي السائرين في الصحراء، وإفراطه في العلو هو الباعث الأساسي على تخيل ما ليس حقيقياً، وتصور مـا لا يوجـد، لذا تـأتي صفات الكمـال والجمال المستحيل توفرها في دنيا البشر، ألا ترى معي أننا نرى القمر رائع الجمال على الأرض، إلا أننا حين نقترب منه لا نرى سوى الصخور والحفر!!

لنستمع إلى إجابة السؤال السابق من علماء الاجتماع، وهذه المرة من عالم غربي لم يعرف الإسلام، فكثيرون من علماء الاجتماع أبرزوا هذه الحقيقة في تجارب واقعية وأبحاث علمية معضَّدة بالأرقام والإحصائيات، ومنهم الدكتور سول جور دون - **أستاذ علم الإجتماع في فرنسا**- الذي أجرى دراسته الميدانية التي أكد فيها أن ٨٥ ٪ من زيجات الحب والغرام تنتهي بالطلاق أو بالمشكلات التي تنغص حياة الزوجين، في المقابل فإن الزيجات القائمة على العقل والاختيار التقليدي نجحت واستمرت، وفي تفسيره لنتائج دراسته يقول سول:

(إن الاندفاع العاطفي يعمي رؤية العيوب ومواجهتها، ويوهم الشاب والفتاة أن الحب يصنع المعجزات، بينما يعمل الطرفان في الزواج التقليدي على إنجاح ارتباطهما ويعرفان أن الزواج مسؤولية وأعباء وتسامح وتنازل، في الوقت الذي يعتقد العاشقان أن الزواج رحلة حب لا نهائية تخلو من المشاكل).

هذا إن كان الشاب كريم الأصل مقصده شريف جاداً غير عابث، أما إن كان غير ذلك شعر أن تلك الفتاة (رخيصة)، ولا تستأهل أن تكون زوجته، وتسقط من نظره إذا ضعفت أمامه، ويفقد ثقته بها إذا أعطته قليلا من المتعة، فيبدأ في التهرب منها ؛ وليس هذا الأمر نسج خيال ، بل هي وقائع الأمس واليوم والغد التي تتكرر على مدار الساعة.



ولأن البنات أرق مشاعر وأقوى عاطفة وأرهف أحاسيس تجد البنت نفسها في مشكلة نفسانية عنيفة بعد أن أحبت بصدق، فكيف تعيش دون حبيبها! أضف إلى ذلك أنها تشعر أنها مُهانة طُعنت في كرامتها وكبريائها. لتبدأ بعدها الدخول في حالة اكتئاب شديدة. مسكينة!! لذة أيام أعقبها دمار أعوام!!

٤- النزيف المستمر:



لماذا لا نجرب أن ندَّخر عواطفنا حتى موعد الزواج، فيظل مستودع العاطفة زاخراً ممتلئًا، يروي مشاعر الزوج تجاه زوجته، ويفيض بمشاعر الزوجة على زوجها ، لينقلب البيت جنة أرضية تكون مقدمة لجنة أبدية، ويمثّل حباً دائماً لا ينضب، بدلاً من استنزاف المشاعر المستمر في علاقات آثمة ترهق القلب وتنزع البركة، وتجعل علاقة الزوجين بعد ذلك فاترة والعاطفة باردة ، بعدما تبعثرت العاطفة هنا وهناك ، وعقد الشيطان المقارنة بين الزوج الحالي وحبيب الماضي ثم حسمها:

ما الحب إلا للحبيب الأول!!



٥- عذابات الحب:

أخي ..

المقدّمات المتشابهة تؤدي إلى النتائج المتشابهة، فاعتبر

Scanned by CamScanner

بمن سبقك من العشاق ولا تسلك طريقًا آخره الآلام.

رُفع إلى **ابن عباس** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوم عرفة شاب قد نحل جسمه حتى عاد جلدًا على عظم، فقال: ما شأن هذا؟! قالوا: به العشق، فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه.

وكان **مغيث** عبدًا متزوجًا من بريرة وهي جارية **عائشة رضي الله عنها**، فأعتقتها عائشة رضي الله عنها، فخيَّرها رسول الله ﷺ بعد عتقها بين أن تبقى معه أو تفارقه، فاختارت نفسها، ففُرِّق بينهما، فكان مغيث يمشي خلف زوجته بعد فراقها له وقد صارت أجنبية عنه، ودموعه تسيل على خدَّيه، فكلَّم الناس له رسول الله ﷺ أن يطلب إليها أن تراجعه، فقال النبي ﷺ: «**يا عباس!! ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا؟**»، ثم قال لها: «**لو راجعتيه**»، فقالت: أتأمرني؟ فقال: «**إنما أنا شافع**» قالت: لا حاجة لي فيه. صحيح

وهو أشار إليه أهل الإيمان وأطباء القلوب، من أن أسهل شيء: السقوط في بئر العشق، وأصعب شيء: الخروج منه، وقد شاركهم الرأي -في لحظة اتفاق نادرة- من غرقوا في بحار العشق وأرادوا إغراق الأمة معهم، فاعترف **نـزار قبـاني** في إحدى قصائده:

يحتاج الرجل إلى دقيقة واحدة..

لـيـعـشـق امـــــــرأة..

ويحتـــاج إلى عصور لنسيانها!!

٦- ستار الشهوة:

لابد من التمييز بين الحب والشهوة LOVE OR LUST، هل الميل الذي تشعر به نحو الجنس الآخر غريزة جسد تجدها في لحظة وقتية عابرة أو نزوة مارة أم هو الحب الصادق؟! لما عرض القرآن للحب بين الرجل والمرأة لم يذكره إلا في موقف

واحد هو احتدام الشهوة، فقال عن امرأة العزيز وهو يصف شهوتها المحمومة تجاه يوسف:

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾

لكن هل هذه الرغبة هي الحب؟!

اسمعوا القول الآتي والحكمة البالغة: "الرغبة مهما كانت جامحة تنطفئ عندما تبلغ الهدف.. والرغبة نار متأججة إذا أُشبعت تحوَّلت إلى رماد".

أما الحب الحقيقي فهو ما يستمر ويظل بعد مرور عاصفة الشهوة مصداقًا لحكمة الشيخ الذي قال لابنته العاشقة: يبدأ الحب بعاصفة، لكن الحب الحقيقي هو ما يتبقى بعد انتهاء العاصفة، **فانظر حقيقة حبك؟!**

٧- حبان لا يجتمعان:

حب الله وحب الحرام، وهل يجرؤ أي شاب أو فتاة يحبان في الحرام أن يزعم أنه راض عن حاله مع الله!! بل يشعران بالشد إلى الخلف بل إلى الأسفل، وعباداتهما تتدهور، وتنازلاتهما على حساب دينهما تزداد، وجرأتهما على الحرام تشتد، وإقبالهما على القرآن يضمحل، وهذا ما لا تخطئه عين أي عاقل نظر إلى عاشق.

٨- فتح أبواب الحرام:

أصحاب الحب خارج إطار الزواج يفسدون دينهم ويعبثون بإيمانهم، فالنظرات الحرام تجرهم إلى الخلوات الحرام، وخلوات الحرام تقود إلى اللمسات الحرام، وكلما فعل صاحبنا حسنة نسفتها سيئاته، وكلما بنى سرعان ما يهدم، الصلاة يضيع خشوعها، والعقول تطيش ويضيع وقارها، وحب الله يهرب من القلب بعد أن طرده حب (حبيبة القلب)، فتُطاع أوامرها وتُعصى أوامر الله، ويُحرص على عدم إيذاء مشاعرها ويُؤذى الله ورسوله، ويُقدّم أمرها ويُطاع في الحال وأوامر الله في الانتظار تشكو الإهمال والتأفف!! وصدق القائل: إن المحب لمن يحب مطيع.

وأنت يا أختاه ..

ماذا لو أمرك حبيبك بالحرام، وأقسم أنه (هيزعل) لو لم تطاوعيه في إجابة رغباته الآثمة وأفعاله السيئة.. **أكنت تفعلين؟!**

روى **ابن القيم** أن رجلاً هوى من النساء جارية، فاشتد حبه لها، فبعث إليها يخطبها فامتنعت، وأجابته إلى غير ذلك من الحرام، فأبى وقال: لا.. إلا ما أحل الله، ثم إن محبته ألقيت في قلبها، فبذلت له ما سأل، فقال: لا والله، لا حاجة لي بمن دعوتها إلى طاعة الله ودعتني إلى معصيته.

٩- عدم الثقة في الآخر:

ما من شاب أو فتاة تعرض لتجربة حب فاشلة إلا وأصابه شعور مرير بعدم الثقة في الجنس الآخر، وأن كل الشباب نسخة واحدة، وأنهم لا يستحقون التضحية من أجلهم، أو أن يفتح الشاب أو الفتاة لهم قلبه، وهو ما يجعل الشاب مترددًا عند دخوله أي تجربة زواج.

١٠- تخلف الأمة:



لو كنا نعيش في أمة متقدِّمة ذات نهضة اجتماعية واستقلال سياسي ونمو اقتصادي لكان لنا بعض العذر أن ننغمس في رفاهية العشق، وحين ينشغل الغرب المتقدِّم بقضاياه الاجتماعية والاقتصادية والصناعية، ويتبارون لإنتاج الأفضل في كل مجال، ويتصدرون المحافل الدولية بإنجازاتهم، ويفاخرون بعلمائهم ومبدعيهم، نظل نحن قابعين في قوقعتنا، نترنَّم بقضيتنا الكبرى ومجالنا الوحيد الذي برعنا فيه: الحب والغرام والعشق والهيام.

هل يحتاج كلامي إلى دليل؟!

انظر حولك

وراقب سوق الأغنيات اليوم، لتلمح آلاف أغاني الحب المبثوثة في شرائط الكاسيت وكليبات الفضائيات، أي آلاف القصائد المكتوبة، والأقلام المُجنَّدة، والخبرات المُسخَّرة، وجيوش العاملين من أجل المهمة المقدسة؛ أن يوقعوا الشباب في شباك الحب وأغلال الهوى!

هوس الحب انتشر بين الشباب والبنات، والمراهقين والمراهقات انتشار النار في الهشيم، فعاشوا هذا الوهم وإن لم يعرفوه ، ومن لم يعشه منهم أضحى وأمسى لاهثًا باحثًا عنه بكل طريق.

فوضى الحب اليوم عارمة وريـــاح الشهوة عاتية، تعصف بالفطرة السوية وتستهدف السكينة الإيمـــانية، فتستأثر لنفسها بطاقات الشبــاب والعقول والأرواح، فلا تذرُ عندهم ما يبقى لتفوق علمي أو إبداع حضاري.

وقد آن لنا أن نجلس مع الحب جلسة محاسبة صارمة، لنرى ما جنينا من ورائه، ثم نفتش في قضايانا عن قضيّة أهم نسلّط الأضواء عليها ونصرف الجهود إليها، ليبدأ كل شاب وفتاة عمله الحقيقي في إعادة بناء أمته واسترداد مجدها الضائع ومحو تخلفها المخجل، بدلاً من بكاء المحبوبة التي لن تعود يومًا، وكأن الحياة من أولها إلى آخرها اختُزلت في قصة حب!!

الـحـل إذن؟!

حلان لا ثالث لهما أمام أي عاشق:

١- الزواج :

لم يطارد الإسلام المحبّين ولا حارب بواعث العشق في النفس، وما جنح إلى تجفيف منابع العاطفة القلبية، بل على العكس من ذلك، فرسولك ﷺ كان أعظم مثال للحب والعاطفية والرومانسية دون منازع، فبينما كانت تتخافت الأصوات عند ذكر الصحابة لأسماء نسائهم، نجد رسولنا الكريم يجاهر بحبه لزوجاته أمام الجميع، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ :

أي الناس أحب إليك؟!. قال: **عائشة**، فقلت من الرجال؟ قال: **أبوها**.

وفوق ذلك جعل معيار الخير في الرجل وقربه من الله بمقدار حبِّه ورفقه بأهله، فقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**». صحيح

فأي إعلاء لقيمة الحب أعلى من ذلك وكأن عاشق زوجته قائم بليل أو باك من خشية الله في خلوة، هما في الأجر يغرفان وفي القرب من الله يتنافسان!!

وكان الرسول ﷺ وهو يفعل ذلك يحارب كل أعراف الجاهلية وعادات المجتمع العربي التي كانت تنص على عدم تزويج المحبّين خوفًا على سمعة الفتاة، واسمع: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن عندنا يتيمة وقد خطبها رجل معدم ورجل موسر، وهي تهوى المُعدم ونحن نهوى الموسر، فقال ﷺ: «**لم يُر للمتحابين مثل النكاح**». صحيح

وهذا اعتراف صريح بالحب العفيف المؤدي إلى الزواج، وتوصية غير مباشرة بعدم الوقوف في وجه المتحابّين أو عرقلة اجتماعهما على الحلال، فالزواج في الإسلام هو الحل الوحيد والمأوى الطبيعي الذي يطفئ حرارة الظمأ العاطفي.

وأضاف الإسلام للحب بعدًا راقيًا لا يضع معايير الشكل الخارجي في الحسبان فقط، فكان حديث رسول الله ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع، لحسبها ولجمالها ولمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**». صحيح

وعلى هذا يا كل شاب وفتاة: إن كان باب الزواج مفتوحًا أمامكما فتقدّما وادخلا واغرفا من بحار الحب الحلال وسلسبيل العشق المستحب، وإلا فكن مؤمنًا وكوني تقية وصونا عيناكما ولسانكما وقلبكما، وتصبَّرا حتى تتيسَّر لكما سبل الزواج وإمكاناته.

٢- الفراق:

وهو الحل الثاني للعاشق في حالة عدم توفر إمكانات الزواج، فإذا كنت

غير قادر على تبعات الزواج، كأن تكون طالبا لا زال أمامك سنين طويلة قبل التخرج والتفكير الجدي في الارتباط، أو فقيرًا لا تملك نفقات الزواج، فالأولى أن تهجر الأمر برمته بدلاً من تعليق قلب فتاة معك والارتباط بها دهرًا، ثم التقلب أنت وهي على جمرات الشوك ونيران الحب وخيالات الشهوة.

قال ذلك **ابن القيم** وهو يصنع دواءه الفعال لمعالجة العاشقين: "والعشق مُركَّب من أمرين: استحسان للمعشوق، وطمع في الوصول إليه، فمتى انتفى أحدهما انتفى العشق".

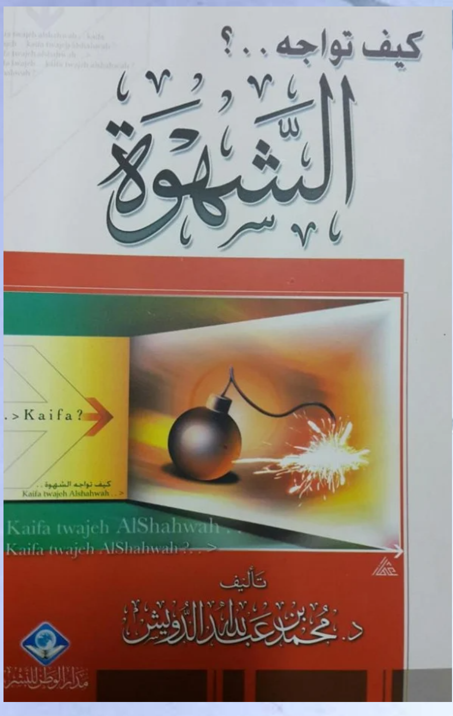
نعم.. الحل الأسلم لدينك ودنياك أن تفارق من تحب!! لكن ليس الفراق وحده كافيًا وإلا كان عذابًا ولوعةً، بل لابد مع الفراق من ملأ الفراغ ليكون مكمِّلاً لجرعة الدواء، الفراغ بكل أنواعه: الفراغ الوقتي والجسدي بالرياضة والهوايات، والفراغ الإيماني بالعبادة والإقبال على الله، والفراغ الذهني بالدراسة والعمل، وأكرِّر للأهمية: الفراغ بكل أنواعه.

وأضمن لك إن فعلت أن تسلم وتشفى، وتنسى وتنسين، وتصفعان الشيطان على وجهه بقوة، وتغلقان البَاب أمامه إلى غير رجعة بعد أن فقد الأمل فيكما.

والآن بعد أن نجوت من السقوط في العقبة الأولى والعقبة الثانية لم يبق إلا أن تجتاز:

العقبة الثالثة

شِباك الشهوة



لابد قبل أن أطرق هذا الموضوع أن أضع في اعتباري تلك الحملة المسعورة الموجهة ضدكم يا شباب، والمحاولات المستميتة من أجل إغراقكم في مستنقع الشهوات عن طريق تنافس محموم بين الفضائيات والشبكات والمجلات للفت أعناقكم وصرف أبصاركم إلى بضاعتهم المسمومة في ظل تغييب متعمد لرموز الخير ودعاة الهدى، مما جعل المتخلِّص من هذا الفخ اليوم والمتغلب على الفتن بطلا من الأبطال.

قال ﷺ: «**إن ربك ليعجب للشاب لا صبوة له**». صحيح

أي لا ميل له إلى الهوى لاعتياده الخير وقوة عزيمته في الابتعاد عن الشر، ولأن هذا قليل نادر فلذا اقترن بالتعجب، وإذا كان رسول الله ﷺ قد قال هذا في زمانه وهو خير الأزمنة على الإطلاق، فكم يكون عجب الله من مثل هذا الشاب اليوم؟!

الأتقياء الأنقياء أبطال أشداء واقفون اليوم في ميدان هذا الجهاد، يبذلون ويتعففون، ولعل عفافهم يفوق جهاد مجاهد أو ترتيل قائم.

إن الآثام التي تؤرِّقنا اليوم كانت موجودة في عهد الصحابة، فالنساء يطفن حول الكعبة عاريات، والخمر والرشوة والميسر والربا تنخر في جسد المجتمع، والصحابة بشر يحملون مشاعر وغرائز البشر، لكنهم أداروا ظهورهم لكل هذه الفواحش وتوجهوا إلى الإسلام العظيم، فكانت تضحياتهم بكل أهواء النفس هي التي سمت بهم وجعلتهم أعظم العظماء، واستحقوا

بذلك أن يكونوا نجوم هداية يتغنى بها ويقتفي طريقها كل من جاء من بعدهم.

أعلم أن

رسول الله ليس بيننا وأن الوحي لا يتنزَّل علينا، ولا تطرب آذاننا لسماع آيات الهداية من أنقى الأفئدة وأحلى لسان، لكن .. كلما زادت الصعوبات واشتدت الفتن زاد ثواب العاملين وأجر الصامدين، ورسولنا الكريم أعطاكم - يا شباب - أجر الهجرة دون أن تهاجروا بفضل هذا التميز والمقاومة الإيجابية، فقال ﷺ:

«عبادة في الهرج كهجرة إليَّ»

ولا يمكن أن نعرض لقضية الشهوة دون أن نشير إلى أروع قصص البطولة التي عرفتها البشرية على الإطلاق، وإليك ملامح:

قصة بطولة!!

ليست البطولة أن تحب وأن تستسلم لشهوتك ونزوات نفسك كما تصوِّر ذلك الأفلام والمسلسلات لتخلق "قدوات" مزيَّفة و"نجومًا" هاوية، إنما البطولة الحقة أن تقاوم هواك وأن لا تنجرف معه، وهذه هي الأصعب والأشق على أي نفس، وإلا فما أسهل أن يساير الإنسان شهوته ويتبع هواه.

والقرآن رسم لنا صورة البطولة الحقة حين عرض قصة **يوسف** عليه السلام في سورة كاملة من سور القرآن، وذلك حين راودته امرأة العزيز عن نفسه وعرضت عليه الفاحشة فاستعصم، وقد اجتمع في هذه القصة من عوامل السقوط والإغراء ما لم يجتمع في غيرها مما جعل **يوسف** يستحق هذا التكريم الخالد عن هذا الصمود الخارق، ومن هذه العوامل:

١. حب الفضول والرغبة في التجربة الجديدة التي لم يذق مثلها من قبل.

٢. فورة الشباب وعنفوان الشباب.

٣. الغربة التي لا يعرفه فيها أحد ولا يخشى معها الفضيحة أو اللوم.

٤. كونه عزبًا ليس معه ما يطفئ شهوته.

٥. والمرأة التي دعته إلى الخطيئة ذات منصب خطير.

٦. وصاحبة جمال صارخ تعمّدت أن تُظهره على أشدِّه ساعة الإغراء والغواية.

٧. وهي سيدته التي يأتمر بأمرها وينتهي بنهيها.

٨. وهي الطالبة له فكفته بذلك الخوف من احتمال صدِّها إن هو دعاها.

٩. وهي الحريصة غاية الحرص مما يزول معه ظنه أنها تمتحنه لتعلم عفافه من فجوره.

١٠. وهي العاشقة المتولهة به لجماله وحسنه..

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾

فقد أوتي يوسف شطر الحُسن.

١١. وقد غاب عنهما الرقيب.

١٢. وغلّقت الأبواب لتضمن عدم دخول أحد عليهما فجأة، وتشديد الفعل يفيد كثرة الأبواب حتى قيل أن عدد الأبواب كان سبعة، أو هو لتكثير الفعل فكأن الباب أُحكم إغلاقه مرة بعد مرة أو بمغلاق بعد مغلاق.

١٣. وتوعّدته إن لم يفعل بالسجن والصغار.

وبقي لي أن أنبِّهك مع كل ما سبق من عقبات أننا لم نر إلا اللحظة الأخيرة واللقطة النهائية في قصة الغواية، لكن لا شك أن هذا الموقف قد سبقته إغراءات شتى خفيفة لطيفة قبل هذه المفاجأة الغليظة العنيفة، مما يعطي الصورة الكاملة عن البيئة التي عاش فيها **يوسف** عليه السلام والنار الهادئة التي أريد له أن يحترق بها لكنه نجا.

يا كل فتى وفتاة..

هذا البطل فأين الاقتداء؟! هذا المثال فأين الأبطال؟!

كان واعظ الدنيا الإمام **ابن الجوزي** يقول: (من الناس من يكفُّ هواه بسلسلة، ومنهم من يكفه بخيط).

بمعنى أن من الناس من يحتاط ويضع المحاذير التي تمنع قدمه أن تزل إلى الهاوية ، ومنهم من بنى داره على الهاوية ذاتها ، ومن بنى داره على شفا جرف هار فانهار به.. كيف يلوم غيره!!

دوري هنا أن أعينكم على السمو ، وأضيء لكم طريق العلو لتجنوا الثمار الرائعة وتنعموا بسعادتي الدنيا و الآخرة، وبين أيديكم هنا وصفة خاصة لمن يعاني توغل الشهوة في قلبه وتوحشها، لتكون هذه الوصايا هي حائط الصد والسد المنيع الذي تتكسر عليه أمواج الأهواء ومحاولات أهل الباطل صرفكم عن الجنة إلى النار، وأول هذه الوصايا :

١- غادر أماكن الوباء:

وهي أماكن التجمعات المختلطة من النوادي والشواطئ والأسواق، والتي لابد من مغادرتها حال توفر المعصية فيها، وهذا ما جعل النبي ﷺ يعد أبغض مكان إلى الله في هذه الدنيا : سوق!!

عن **جبير بن مطعم** رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله.. أي البلدان أحب إلى الله؟! وأي البلدان أبغض إلى الله ؟! قال: لا أدري حتى أسأل جبريل عليه السلام، فأتاه فأخبره جبريل أن : «**أحسن البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق**». صحيح

وبعد التحذير الضمني من خطورة الأسواق جاء النهي الصريح عن الاختلاط العابث فيها، فقال النبي ﷺ فقال: «**وإياكم وهيشات الأسواق**».

وهيشات الأسواق : اختلاطها والمنازعات والخصومات وارتفاع الأصوات فيها، ومن اختلاطها : اختلاط النساء بالرجال والفتيان والفتيات.

وقد أرادك الله أن تكون إيجابياً مبادراً، تغيِّر الواقع المُرَّ لا أن تهرب منه، وتنشر النور في الظلمة لا أن تنطفئ معها، فسنَّ لك الذكر في السوق وضاعف لك به الأجر، فقال ﷺ: «**من دخل سوقًا من الأسـواق، فقـال لا إله إلا الله وحـده لا شريك له له الملك وله الحمـد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة**». حسن

٢- حارب خواطرك:



الخواطر الشهوانية يتولَّد منها أحلام اليقظة التي تورث الحسرة والندم، ثم الوقوع حتما في الزلل، لأن صاحبها لما عجز عن نيلها على أرض الواقع لجأ إلى عالم الخيال، فتخيَّل صورتها في قلبه وعانقها وضمها إليه ليروي ظمأه ولا أمل، وإنما مثله مثل الجائع الظمآن يتصوَّر أنه يأكل ويشرب ويحرِّك فمه على صورة المضغ وليس بين أسنانه شيء!!

قال الإمام **ابن القيم** رحمه الله في خاطرة من أحلى خواطره:

"دافع الخطرة فإن لم تفعل صارت فكرة، فدافع الفكرة فإن لم تفعل صارت شهوة، فحاربها فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها صارت فعلا، فإن لم تتداركه بضده صار عادة، فيصعب عليك الانتقال عنها".

وإليك بعض النصائح للتحكم في خواطرك:

- إذا داهمتك خاطرة ووجدت نفسك تسترسل معها فغيِّر وضعك في الحال: فإن كنت نائمًا فاجلس، وإن كنت جالساً فقف، وإن كنت خاليا فاجتمع بغيرك، فهذا يشتت التركيز ويبعثر الخاطر.
- لا تجلس وحدك كثيرًا فيصطادك الشيطان في خلوتك بشباك شهوتك.
- الهجوم خير وسيلة للدفاع، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، ويستحيل أن يخلو عقل من خواطر.. يستحيل، فكن إيجابيًا بمعنى أن تفكر في الخير بدلاً من الشر، وتملأ العقل بما يفيد قبل أن يغزوه ما يضر، ويشمل ذلك التفكر في آيات الله المقروءة في القرآن، أو المشاهدة في الكون، والتفكر في نعمه، والتفكر في عيوب النفس



وطرق إصلاحها، والتفكر في أحوال المسلمين وهمومهم، فاستحضر هذه الخواطر تنصرف عنك غيرها من خواطر الشر.

- فارق دواعي الحرام ومواطنه الحسية نهارًا تهجرك خواطرها بالليل، واهجرها بالليل تنجُ منها نهارًا.
- عادة ما تهاجم الخواطر المرء عند نومه، فإياك أن تذهب إلى سريرك إلا وأنت متعب، وضع كتابا إلى جوار سريرك، وليكن أعظم كتاب: القرآن الكريم، فتختم يومك بذكر، وتحمي بذلك قلبك وعقلك من السقوط في البئر، ولا تنس أذكار النوم، ومنها آية الكرسي والمعوذتين، وفيها اللجوء إلى الله من الشيطان الذي ينشط في الليل!! قال تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (الفلق: ٣)

والمقصود هنا غالبًا: الليل، وما فيه من توقع للمجهول الخفي، ومن وساوس وهواجس وهموم وأشجان تتسرب في الليل، وتخنق المشاعر والوجدان، ومن شيطان تساعده الظلمة على الانطلاق والإيحاء والوسواس، ومن شهوة تستيقظ في الوحدة والظلام لتقلق المنام!

وتذكر أخي أن..

النوم موت لأن فيه خروج الروح، وعند نومك يتنافس عليك كل ليلة ملك وشيطان، فيقول الملك: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر، فأيهما يظفر بك؟!

٣- احذر النوم القاتل:

هذه بعض وصايا للنائم الذي يشتكي استعار الشهوة وعدم استطاعته مقاومتها لتقوى مناعته:

- لا تنم وحدك ما استطعت: فإن ذلك باعث على الخيال والتهيّج.
- نم على جنبك الأيمن، ولا تنم على بطنك، فإن ذلك قد يحرِّك الشهوة ويهيِّجها، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك بصورة عملية حين رأى أحد

الصحابة مضطجعًا على بطنه فحرَّكه برجله قائلاً: «**إن هذه ضجعة يبغضها الله تعالى -يعني الاضطجاع على البطن-**» . صحيح

وكرَّر ذلك مرة أخرى مع **أبي ذر** رضي الله عنه الذي قال: مرَّ بي النبي ﷺ وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله وقال: «**يا جنيدب!! إنما هذه ضجعة أهل النار**» صحيح

- انهض سريعًا عند الاستيقاظ ولا تتكاسل على فراشك: فتتحرَّك شهوتك بعد النوم والراحة.
- لا تنم عاريًا أو شبه عار.
- تجنب احتضان بعض الأشياء التي اعتاد عليها البعض اليوم: كالوسادة والدمى الكبيرة وما شابه.
- امتلاء المعدة بالطعام من أهم محرِّكات الشهوة: فاحرص على تلافي الشّبع المتخم وامتلاء معدتك.

٤- استخدم الإنترنت بحرص:

هل هي مصادفة أن يكون ترجمة كلمة شبكة الإنترنت بالعربية: الشبكة العنكبوتية، وكأنها تنسج شباكها حول ضحاياها بصورة تجعل التخلص منها غاية في الصعوبة، وهي اليوم من أكبر أسباب استعار الشهوات وكشف المستور، ولذا أفردت لها هنا صفحة كاملة مع أنها تستحق أكثر، **فمع هذه الوصايا:**

- اجتنب استخدام النت وقت الخلوة، فإذا فعلت فليكن ذلك في وجود أهل البيت.
- اجتنب التصفح حال الشعور بالشهوة، فإن ذلك يجعلك تبادر إلى التنقل من بريدك الإلكتروني والمنتديات العادية إلى المواقع الإباحية وكأنك انسقت إليه دون قصد!!
- اجعل لتصفحك سقفًا زمنيًا صارمًا، وليكن ذلك عن طريق أن ترتبط بموعد آخر بعده، بحيث لا تسترسل مع النت إلى ما لا نهاية، بل تقطع

التصفح بارتباط آخر أهم.

- ضع برنامج حماية ضد المواقع الإباحية على جهازك.
- ضع مصحفا أمام جهازك، تذكر به ربك وتقرأ منه صفحة أو صفحتين قبل التصفح ترقيقًا لقلبك وذكرًا لربك وطردًا لوساوس عدوِّك.
- لا تُطل الجلوس على النت لأن: **الإطالة + الفراغ = تسلل الحرام.**
- دخول النت دون هدف مسبق يسهِّل على الشيطان مهمته في استدرجك إلى المواقع الإباحية.

معلومة:

هل تعلم أن أحدث إحصائيات شركة جوجل أشارت إلى أن أكثر متفقدي المواقع الجنسية على مستوى العالم هي الدول العربية!!

- ضع جهازك في مكان عام في البيت، وإن كنت في غرفتك فلا تغلق عليك بابك، واجعل جهازك بجهة معاكسة لباب الحجرة بحيث يرى أول داخل عيك شاشتك بوضوح، وهذا يقيّدك عن تصفح ما لا يليق حياء من الداخل عليك فجأة.
- أضف إلى ذلك البعد عن مشاهدة أفلام التي تذكي الغرائز والكليبات الإباحية والأغاني التي تدعو للحب غير العفيف وتغري بالفحشاء.

وأخيراً..

أخشى عليك إن لم تراعه ما سبق أن تقع في ذنب الإصرار ومن ورائه غضب القهار حيث أن "الإصرار هو الاستقرار على المخالفة، والعزم على المعاودة، وذلك ذنب آخر لعله أعظم من الذنب الأول بكثير، وهذا من عقوبة الذنب: أنه يوجب ذنبا أكبر منه ثم الثاني كذلك ثم الثالث كذلك حتى يستحكم الهلاك".

٥- واصل صومك:

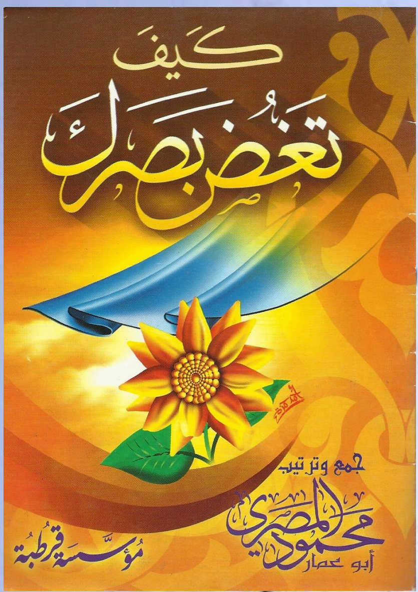
احرص على صيام الاثنين والخميس، أو إن استطعت صيام يوم بعد يوم،

وداوم على ذلك مع صيام الجوارح عل كل ما يخدش الإيمان من الجوارح، فهي وصية النبي ﷺ المباركة لمن لم يستطع تحمل تكاليف الزواج، ونعم جرعة الدواء هي نتناولها من بين يدي نبي.

رابعاً

القلعة السُّباعية

١- غض البصر :



الإسلام لا يتركك تتورط وتتزلق قدمك في الوحل ثم يقول لك توقف، بل يضع سياجًا يمنعك من الاقتراب من المنطقة الموحلة ابتداء، فقبل العشق وضع لك إطار غض البصر، والعشق هوى لحظة إن صبرت عنها ومرَّت بك دون أن تتوقف عنها جفّت وماتت ، وإلا رسخت وغرست قدمك في كمين لا خروج منه.

قال **ابن الجوزي** راصداً عشاق زمانه وكل زمان:

"فإن تكرار النظر قد نقش صورة المحبوب في القلب نقشاً متمكنًا: وعلامة ذلك : امتلاء القلب بالحبيب: فكأنه يراه حالاً في الصدر، وكأنه يضمه إليه عند النوم، ويحادثه في الخلوة".

ومن المسائل العلمية المؤكدة التي أشار إليها العلماء أن الرجل مخلوق بصري والمرأة مخلوق سمعي..

بمعنى..

أن أكثر ما يؤثّر في الرجل عينه، وأشد ما يأسر المرأة أذنها، وهذا لا يعني أن النظرة لا تؤثّر في المرأة، أو أن الرجل لا يتأثر بما يسمع، بل كم من الرجال وقعوا في شباك الحب بكلمة، وكم من امرأة فقدت عقلها بنظرة، ولكننا نتكلم هنا عن الغالب الأعم، ومن هنا كان الأمر بغض البصر للرجال أكثر منه في النساء.

العين يا شباب.

أسرع حاسة من الحواس الخمس في نقل التأثير، ويتم التجاوب معها جسديًا بسرعة فائقة، وقد وجد العلماء أن أسرع هرمون يتجاوب مع الحواس هو هرمون الذكورة في تجاوبه مع البصر، وذلك في فترة زمنية لا تتجاوز ثلاث ثواني فقط، والنظرة الأولى يمكن إلغاء أثرها ومحوها عن الأذهان، ولكن النظرة الثانية ومتابعة النظر هو ما يخلق التجاوب ويولد الشهوة، لذا كان غض البصر ضرورة لوقف هذا التفاعل، وكانت عبارة: « **النظرة الأولى لك والثانية عليك** » قاعدة أساسية من قواعد درء الشهوة في الإسلام القائمة على حقيقة علمية ثابتة.

تطلق العين النظرة، فيُخزِّن العقل الصورة، ثم يستدعيها الشيطان بضغطة زر وقتما يحلو له ليقودك إلى الخطيئة، فيكون موعد هوى أو تصفح لمجلة هابطة أو لموقع يعرِّي الأجساد ويعرِّي معها القلب من الإيمان.

٢- لم خلقك الله؟!

ومشتَّتُ العزمات يُنفق عمره حيران لا ظَفَرٌ ولا إخفاق

كثير من الشباب يعيشون مشتتين في هذه الحياة، لا يعرف أحدهم ماذا يريد، وما الغاية التي خلقه الله من أجلها، ومن ثم تراه يتخبط في الحياة يمنة ويسرة يبحث عما يشبع شهواته ويلبي رغباته، لا يرى سوى ما تحت قدميه، غير خائف من عاقبة أو مكترث بعقاب، ولا عجب في ذلك ، فالأهداف منعدمة، وإن كان فأهداف دنيوية فحسب، متحرِّكة كالرمال المتحرِّكة، كلما بلغ هدفًا هتف به الثاني، في متوالية لا تنتهي، تغُرُّ وتخدع صاحبها حتى يلقى الله صفر اليدين!!

أخي..

أنت لم تُخلق للهوى وليس هدف حياتك منصبًا حول حب مخلوق زائل كائنًا من كان، وإنما هُيّئت

لجنة الخلد ونعيم الأبد التي لا تُنال إلا بعصيان الهوى ومخالفة النفس الأمارة بالسوء كما قيل:

قد هيـؤوك لأمـر لـو فطنـت لـه فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

خلقه الله لجنة عرضها السماوات والأرض فباعها بشهوة ساعة؟!
وصاغ قلبه على مقدار حبها فرمى بقلبه في وادي الهوان؟!
فما الذي فعله في نفسه هذا المسكين؟!

٣- سياج الطاعات الواقي :

أخي.. أختي..

هذه واحدة من أحلى المعادلات الإيمانية الرائعة:

عبادات إيمانية + مواظبة يومية = عصمة ربانية

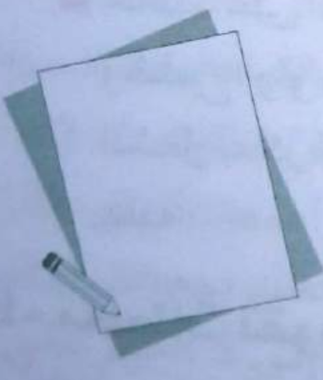
ألا تصدِّق؟! جرِّب ولن تندم!!

أخي.. أختاه.. أي سالك لطريق الطاعات لابد وأن يمر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة المعاناة والتكلف.

المرحلة الثانية: مرحلة الإلف والاعتياد.

المرحلة الثالثة: مرحلة اللذة والتمتع.



وللوصول للمرحلة الثالثة لابد لكم من المداومة والاستمرار، ولذا كان رمضان، أو الحج، أو العمرة فرصة ذهبية لخلع ثوب الشهوة وكسر قيودها لأنها تمثّل الانغماس في الأنوار الربانية فترة طويلة من الزمن.

أحبتاه ..

ألم تعلموا بعد أن العبادات وقود الإيمان؟! تؤثِّر فيه زيادة ونقصانًا، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والإيمان هو العاصم الوحيد للعبد

من مواقعة الحرام كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ :

«**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن،...** ». رواه البخاري

فإليكم محاولة متواضعة مني لمساعدتكم على تحقيق المعادلة السابقة واكتساب إيمان قوي يصمد في وجه طوفان الشهوة، وذلك عبر خطوات متدرِّجة محددة:

- لا تدع صلاة جماعة واحدة في المسجد.. واحدة بمعنى واحدة!! ومع الجماعة تولد الصحبة الصالحة.
- عليك بنوافل الصلوات بعد الفرائض، وهي اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة: أربع قبل الظهر، واثنتان بعده، واثنتان بعد المغرب، واثنتان بعد العشاء، واثنتان قبل الفجر، وعندها يحبك الله فيبني لك بيتًا عنده في الجنة.
- في كل من الفريضة والنافلة: أحضر قلبك معك كل صلاة، ولا تنسه في المكتب أو البيت!! فرِّغه من هموم الدنيا بالتبكير إلى المسجد وتلبية النداء على الفور: فالصلاة الخاشعة وحدها هي الفعالة في النهي عن الفحشاء والمنكر، ولمزيد من التفصيل يمكنك الرجوع إلى كتابي " أول مرة أصلي ".
- حافظ على أذكار الصباح والمساء، وورد يومي من قراءة القرآن بتدبر وخشوع، ولو صفحة واحدة كل يوم، لتعوِّد لسانك الذكر، فاللسان إذا انشغل بذكر الله ملأ العقل ثم القلب: فلا يجد الشيطان موضعا ينزل عليه.

٤- محطات تقوية الخوف:

قال عز وجل:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

(النازعات: ٤٠-٤١)

والخوف ضد الهوى، والخوف من تبعة أي أمر يبعد المرء عنه، لذا كان الخوف من الله هو الوازع الحقيقي الذي يمنعك من الوقوع في أسر الشهوة.. أي شهوة.

يقول الإمام **ابن القيم**: "وإذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها".

ومحطات التزود بالخوف متعدِّدة تشمل:

ذكر الموت بزيارة القبور واتباع الجنائز وحضور غسل الموتى وكتابة الوصية، ومن أوثقها صلة بموضوع هذه الرسالة: الخوف من حبوط العمل، لأن هذه الذنوب كثيراً ما تؤدَّى بعيـداً عن العيون وفي السر، ونبينا ﷺ يقول:

«لأعلمن أقواما يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله هباء منثوراً».

قال **ثوبان**: يا رسول الله.. صفهم لنا جلّهم لنا: أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: **«أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها».**

وسيأتي اليوم الذي تتحوَّل فيه إلى خصم نفسك إن لم تكف وتتب عن الآثام.

ويـلٌ لمن شفعـاؤه خصمـاؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

وقد أضحك هذا النبي ﷺ، وهو مجادلة العبد ربه يوم القيامة ومخاصمته بالباطل وعناده في وقت لا ينفع فيه العناد، فعن **أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: هل تدرون مما أضحك؟ قال: قلنا الله ورسوله أعلم. قال: **«من مخاطبة العبد ربه يقول العبد يوم القيامة: يا رب ألم تُجِرني من الظلم؟ فيقول: بلى فيقول: إني لا أجيز علي نفسي إلا شاهدا مني، فيقول: كفى بنفسكِ اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويُقال لأركانه: انطقِي فتنطق بأعماله، ثم يخلَّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لكن**

وسُحقًا فعنكن كنت أناضل».

اللهم ارزقنا خوفًا يقينا ذنوب الخلوات، وهيبة منك تعصمنا من الزلات.

٥- مدد الدعاء:

فإن كنت ممن ابتُلي بعشق أو ذنوب خلوة فإليك الدواء والسهم الأخير في الجعبة، والذي أطلقه على قلبك **ابن القيم** حين خاطب من حاله مثل حالك:

"فإن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه مستغيثًا به متضرعًا متذللاً مستكينًا، فمتى وُفِّق لذلك فقد قرع باب التوفيق".

وما أجمل دعاء النبي ﷺ وما أشمله على قلة حروفه، تردِّده كل صلاة تبغي به النجاة: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**».

رواه مسلم

أخي..

ويحك.. لو علقت شوكة برجلك لظللت تتوجَّع طالبًا الطبيب، وأشواك المعاصي ملأت قلبك وأدمته وما شعرت بألم ولا صرخت أو لجأت إلى طبيب!!

٦- الجزاء من جنس العمل:

ما أخلص عبد لله نيته وآثر الله على شهوته فترك شيئًا لله إلا اشتد فرح الله به، فعوَّضه عن ما ترك لذائذ غامرة، نعم.. قد يجد العبد في بداية هجر الحرام مشقة وصعوبة ليختبر الله صدقه ويمحِّص إرادته، لكنه إذا اجتاز هذا الاختبار انهمرت عليه الأرباح من كل جانب، وهو معنى قولهم: من ترك لله شيئًا عوَّضه الله خيرًا منه، وهو ما أقسم عليه **شريح القاضي** الذي كان يحلف بالله أنه ما ترك عبدٌ لله شيئًا فوجد فقده!! وهذا لأن الله عوَّضه روحيًا وإيمانيًا وماديًا في دنياه، أما في الآخرة فينتظره الفوز الأكبر حين يُقال له: أتذكر يوم كذا وكذا.. يوم آثرت الله على هواك وانتصرت على

شهوتك؟ فالآن نُجازيك بما لم تكن تحلم، وما أحلى مفاجآت الجنة!!

ومما يفيد أيضا في الوقاية من الهوى أن تخاطب نفسك بعكس الخطاب السابق فتقول:

كم وافقتُ نفسي في لذة محرمة ضاعت حلاوتها وبقيت مرارتها؟ وأسف الدنيا -**إن كان قلبك حياً يستشعره**- ما هو والله إلا قطرة في بحر أسف الآخرة، حين ترى عظيم ثواب السابقين وشدة عذاب الغافلين، وعندها عض أصابع الندم حين لا ينفع الندم!!

٧- ثمرات التوبة الخيالية!!

إذا أخطأت بعدما عزمت على التوبة، وتعثَّرت في الطريق بعد الاستقامة، فكفِّر العمل بالعمل، ولا تؤخِّر توبة اليوم إلى الغد، بل بادر بها في الحال، دون تسويف أو تلكؤ، أو يأس أو قنوط، فعن **أبي هريرة** رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إن عبداً أصاب ذنباً، فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً فاغفره، فقال له ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال ثم أذنب ذنبا آخر، فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي. قال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال ثم أذنب ذنبا آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً فاغفره لي، فقال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدي فليعمل ما شاء». صحيح

قال **يحيى بن معاذ**:

إن الله سبحانه لم يرض للمؤمن بالذنب حتى ستر، ولم يرضَ بالستر حتى غفر، ولم يرضَ بالغُفران حتى بدَّل، فقال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

وقال تعالى:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾

قبل الوداع

✿ **الشافي هو الله:** الله عز وجل هو الذي يشفي من جميع الأسقام، ويجب أن تكون على ثقة تامة لا تقبل الشك بأن الله قادر على أن يعافيك في طرفة عين بل وأقل.

قال **ابن عطاء**: من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (الكهف: ٤٥)

✿ **القراءة وحدها لا تكفي:** لابد أن يتبع قراءتك تطبيق عملي لكل خطوة من خطوات البرنامج، وإلا كانت هذه الرسالة حبرًا على ورق، ومالاً أُنفق في غير فائدة.

✿ **الانطلاقة الجديدة:** ابدأ هذه الرحلة العلاجية والبرنامج الاستشفائي بنفسية مختلفة وبروح جديدة: فأنت هذه المرة عرفت من تواجه، وهو ما يوفر عليك الكثير من الجهد والطاقة: وقد بذلتُ قصارى جهدي في تتبع أسباب هذه الظواهر مع وصف طرق العلاج، وشرحتها لك في استفاضة بعد أن بسّطتها في سلاسة.

✿ **لا تراجع ولا استسلام:** إذا حدث وزلّت قدمك في منتصف الطريق: فإياك أن تنسحب وتترك الأمر برُمّته، فهذا مراد

الشيطان ومنتهى أمله، بل عليك أن تعاود الكرَّة من جديد ومن حيث انتهيت.

✿ **اليـــأس القـــاتل:** قـال رسولِ الله ﷺ: « **ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء** »، فمهما بلغ منك المرض مبلغه، ومهما توغلت الشهوة والغفلة في قلبك: فلتعلم أن لا مستحيل في عالم الهداية ودنيا الإيمان.

✿ **التغييـــر قـــرار:** لنتـذكر أن عاداتنا السيئة لن تتغيـر فينا حتى نتغير نحن، ونتحمس لفكرة التطور للأفضل باعتبارها واجبًا شرعيًا وضرورة حياتية تفرضها طبيعة الصراع مع الشيطان، هذا الصراع الذي لا نتيجة ثالثة له: إما النصر وإما الهزيمة.

✿ **التـدريب أســـاس:** في الحديث: «**إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يَتَحرَ الخير يُعطَه، ومن يتق الشر يوقه**». صحيح

وأخيـــرا

أخي.. أختاه

هذه يدي ممدودة إليك فلا ترد يدًا ممتدة نحوك بالخير الوفير... فأنا والله أحببتك قبل أن أراك لأني بك أدخل الجنة إن أنت أصغيت لكلامي واهتديت ثم ارتقيت ! ولن أدعك حتى تصحبني!! فأنا أحبك، وأريدك أن تذوق ما ذقت.

إلى كل سجين!!

المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه.

هكذا أخبرنا الحبيب ﷺ ، فأعني يا حبيبي على كسر قيد الهوى عنك وقد طوَّقك، وأقعدك عن السير نحو الجنة ، وأطمع فيك إبليس فصار يجرك ناحية جهنم، فهل تصغي له وتجيب دعوته وتؤنس في النار وحشته؟! أم تكشف خدعته وتفضح خطته وترفض الهلاك معه؟! أنا واثق أنك ستكون مع الخيار الثاني ، والله يؤيِّدك.



سلامة قلبك
شبكة الشهوة
واصل صومك
حارب خواطرك
غادر أماكن الوباء
احذر النوم القاتل
استخدم الانترنت بحرص
أشواك الحب
الحل إذن
الزواج
الفراق
فتح أبواب الحرام
حبان لا يجتمعان
ستارة الشهوة
النزيف المستمر
العمى الأصم
تلاف الأمة
الصحوبية
التقليد الأعمى
التعرف على المجهول
إثبات الذات
الراحة و اللذة
القلعة السباعية
محطات تقوية الخوف
غض البصر
لم خلقك الله
سياج الطاعات الواقي
ثمرات التوبة الخيالية
سلاح الدعاء
الهزاء من جنس العمل

من سهام المواعظ (2)

٢١ . قال سفيان بن عيينة: العلم إن لم ينفعك ضرك. والسبب: أنك إن لم تعمل به كان حجة عليك، فاللهم ارزقنا العمل بما علمنا.

٢٢ . أكثر صدقاتي اليوم!

أوزع بسماتي على الكل.أزرع بها التفاؤل والأمل.أهوّن على المصاب والمحزون.أُسعِد الآخرين. تبسمك في وجه أخيك صدقة. من يشاركني!

٢٣ . مقاساة البرد في السير إلى صلاة الفجر هنا ولا معاناة البرد وعذاب الزمهرير هناك.. ادفع ثمن عتق رقبتك من النار اليوم، فما زالت السوق قائمة!

٢٤ . مات واستراح!!

عن عائشة قالت: قيل يا رسول الله.. ماتت فلانة واستراحت! فغضب رسول الله وقال: «**إنما يستريح من غفر له**». صحيح

٢٥ . ارسم جدول أعمال الغد من أعمالك الصالحة وأنت على فراش نومك، خطط الليلة لتنام أفضل نومة على أقوى العزائم يا تلميذ أولي العزم من الرسل.

٢٦ . التكرار يعلم الأبرار!!

يتألمون لأنهم في الفجر لا يستيقظون، فإذا كان الغد لا يتغيرون، بل يكررون أخطاءهم، ونفس الطريق يسلكون! هل هم صادقون؟

٢٧ . سرق اللصوص بيته فبكى شهرا وسرق الشيطان قلبه فما انتبه!

١٨. لا شيء أعز عليك من عمرك وأنت تضيّعه!!
لا عدو لك أعدى من شيطانك وأنت توافقه!!
لا أضر عليك من هواك وها أنت تهواه!!
لا بضاعة أربح من حسناتك ومع هذا تبدّدها بسيئاتك!!

فمن لك إذا أوقفك غدًا بين يديه يسألك عن أيامك بل أنفاسك

١٩. إبليس مايفتر..

قال ابن الجوزي: اعلم أن القلب كالحصن، وعليه سور وباب، وفيه ثغرات، وساكنه العقل، وإن الملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض (مكان) فيه الهوى، والشياطين تختلف إلى ذلك الربض، ولا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس للعبور من الثغرات والأبواب ويتيقظ لها، فإن إبليس ما يفتر.

٢٠. من أغلظ لك القول في نصيحتك هو أنفع لك ممن جاملك وتركك على غلطك، فلا تجعل غلظة الناصح سببا لرد النصيحة، فإنها عنوان نجاتك

٢١. من نواياك اليوم أثناء كل نظر في المرآة!!

قال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أن ينظر كل يوم إلى وجهه في المرآة: فإن كان حسنا لم يشنه بفعل قبيح، وإن كان قبيحا لم يجمع بين قبيحين!

٢٢. الفرق بين النقد والنقض حرف واحد، فألبس نصيحتك أجمل ثوب كي تستقبلك القلوب بالترحاب.

نقطة رجوع

كيف تتعامل مع ذنبك؟! ١٦
لماذا كتبت هذه الرسالة؟! ١٦
أولاً: اليأس إلى غرفة الإعدام!! ١٧
ثانياً: حكمة الذنب ١٩
ثالثاً: فقه التعامل مع الذنب ٢١
الأدب الأول: وتحسبونه هيناً أو استعظم ذنبك ٢١
الأدب الثاني: فلا تقعد معهم أو الهجر ٢٦
الأدب الثالث: أصلح ظاهرك أو راقب خواطرك ٢٧
الأدب الرابع: واصبر نفسك أو جالس الأبرار ٢٨
الأدب الخامس: فرغت فانصب أو اذبح فراغك ٢٩
الأدب السادس: استغفروا ربكم أو الاستغفار المتدفق ٣٠
الأدب السابع: لا تثريب عليكم أو لا تعيِّر مذنباً ٣٥
الأدب الثامن: لا تجاهر أو الاستتار ٣٧
الأدب التاسع: حملة إعمار أو الحسنات تغلب السيئات!! ٣٩
الأدب العاشر: الهجمة المرتدة أو ادع غيرك ٤١
رابعاً : وأتممناها بعشر!! ٤٣

غرامة تأخير

أولاً: لماذا الوقت؟! ٥٦
رجوع الماضي محال ٥٦
جلسة الحساب ٥٧
النعمة الخفية ٥٧
البناء وإلا الهدم ٥٩
أغلى كنز ٦٠

جريمة قتل يومية ٦١
ثانيًا : حوافز الانطلاق ٦٤
قلد نبيك / الغيرة ممن حضر / والغيرة ممن غاب ٦٤
الواجبات أكثر ٦٦
قرب الرحيل ٦٦
ثالثًا : مربع الوقت ٦٩
الضلع الأول: الإيماني ٧٠
الضلع الثاني: المهاري ٧٤
الضلع الثالث: الاجتماعي ٧٦
الضلع الرابع: الترويحي ٧٨
رابعًا : نحو أعظم استفادة ٨١
حدد أهدافك أولاً ٨١
التخطيط للغد ٨٢
ما كل الأوقات سواء ٨٣
المرحلة الشبابية ٨٤
الفراغات البينية ٨٥
قطع يد السارق ٨٦

أحلى صحبة

أولاً : لماذا الصحبة؟! ٩٨
ثانيًا : الصحبة الصالحة ١٠٠
العدوى أو الاستشفاء ١٠١
أنت مع من أحببت ١٠٤
شفعاء الآخرة / أعوان على الخير ١٠٦
السباق السباق ١٠٧
دعاء الملائكة ١٠٨
يا مرآة أخيك ١٠٩
نحو الأفضل ١٠٩

هـزيـمـة إبليس ١١٠
ثالثًا : صحبة السوء ١١١
الثمـرة الفاسدة معدية ١١١
عـــداوة الآخـــرة ١١٣
طرد الملائكة ١١٣
الرضا عن النفس ١١٤
التقليـد الأعمى ١١٥
رابعًا : قصة الضياع في آية!! ١١٨
أقســـام الـقـلـوب ١١٨
رحـــمـــة الذكـــر ١١٩
عـقـــوبـة الدنيـــا ١٢٠
عقوبة الآخرة المرعبة ١٢١
بيـــع الوهـــم ١٢٢
الكيد المستمر / وقفة الحساب ١٢٣
عموم العذاب لا يعني تخفيفه ١٢٤
أهـــم الـدروس ١٢٥
خامسًا : كيف تكسب صاحبًا؟! ١٢٦
حب أول نـــظـــرة ١٢٦
وحدة الهدف والاهتمام ١٢٦
حُـســن الخُـلـــق ١٢٦
الإعانـة على الطـــاعة ١٢٨
الاستبـــدال الـفـــوري ١٢٨
إزالة المنكر أو الزوال عنه ١٢٩

سلامة قلبك

٣ × ١ ..... ١٣٤
العقبة الأولى : الصحوبية ١٣٦
الراحـة أو اللذة ١٣٧

التعرف على المجهول ١٣٨
إثبـــات الذات / التقليـــد الأعمـــى ١٣٩
العقبة الثانية : أشواك الحب ١٤١
الـعـمـــى التـــام ١٤٢
شبكة الاختيار الأخير ١٤٣
فـشـل الزواج إن حصل ١٤٣
النزيف المستمر / عذابات الحب ١٤٥
ستـــار الـشـهـوة ١٤٦
حُبّان لا يجتمعان/فتح أبواب الحرام ١٤٧
عدم الثقة في الآخر / تخلّف الأمة ١٤٨
الحل إذن: الـزواج ١٤٩
الـفـــراق ١٥٠
العقبة الثالثة : شباك الشهوة ١٥٢
غـــادر أماكن الوبـــاء ١٥٥
حـــارب خـواطـــرك ١٥٦
احـذر النـوم القـــاتل ١٥٧
استخدم الإنترنت بحـرص ١٥٨
واصــــــل صــومــك ١٥٩
رابعًا : القلعة السُّباعية ١٦١
غـــض الـبـصـــر ١٦١
لـم خـلـقـــك الله ١٦٢
سيـــاج الطاعات الواقي ١٦٣
محطات تقويـة الخوف ١٦٤
مـــدد الـدعـــاء ١٦٦
الجزاء من جنس العمل ١٦٦
ثمرات التوبة الخيالية ١٦٧

الشباب بذرة غالية منحها الله لكم يا شباب، وترك
لكم أن تختاروا الأرض التي تبذرون فيها:
إما الأرض الطيبة وهي بيئة الخير على أن ترعوها
وتتعاهدوها بغيث الإيمان وزاد الخير، وتحموها
من الآفات والمهلكات، وإما أن ترموا بها في أرض
بور هي صحبة الشر؛ حيث لا ماء يروي القلب ولا
هواء ينعشه ويغذِّيه.
والثمرة الأكيدة: شجرة ساقها من ذهب في الجنة
تستظلون تحتها، أو شجرة زقوم ملتهبة في جهنم
تُعذَّبون بها، ولكم وحدكم مطلق الاختيار.

الحقوق محفوظة لـ طيبة برقم إيداع: ٢٠٠٩/٢١٣٢
١٥ شارع حيدر حلوان - القاهرة
٠٢/٢٩٧٢٢٣٦٦ - ٠١٠١٢٩٠٢٩٢
E-mail: Tibaadv@yahoo.com

www.khaledaboshady.com